



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص فلسفة تطبيقية



الموضوع:

الإستغراب عند حسن حنفي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة تطبيقية

الأستاذ المشرف:

من إعداد:

د. بدة فوزية

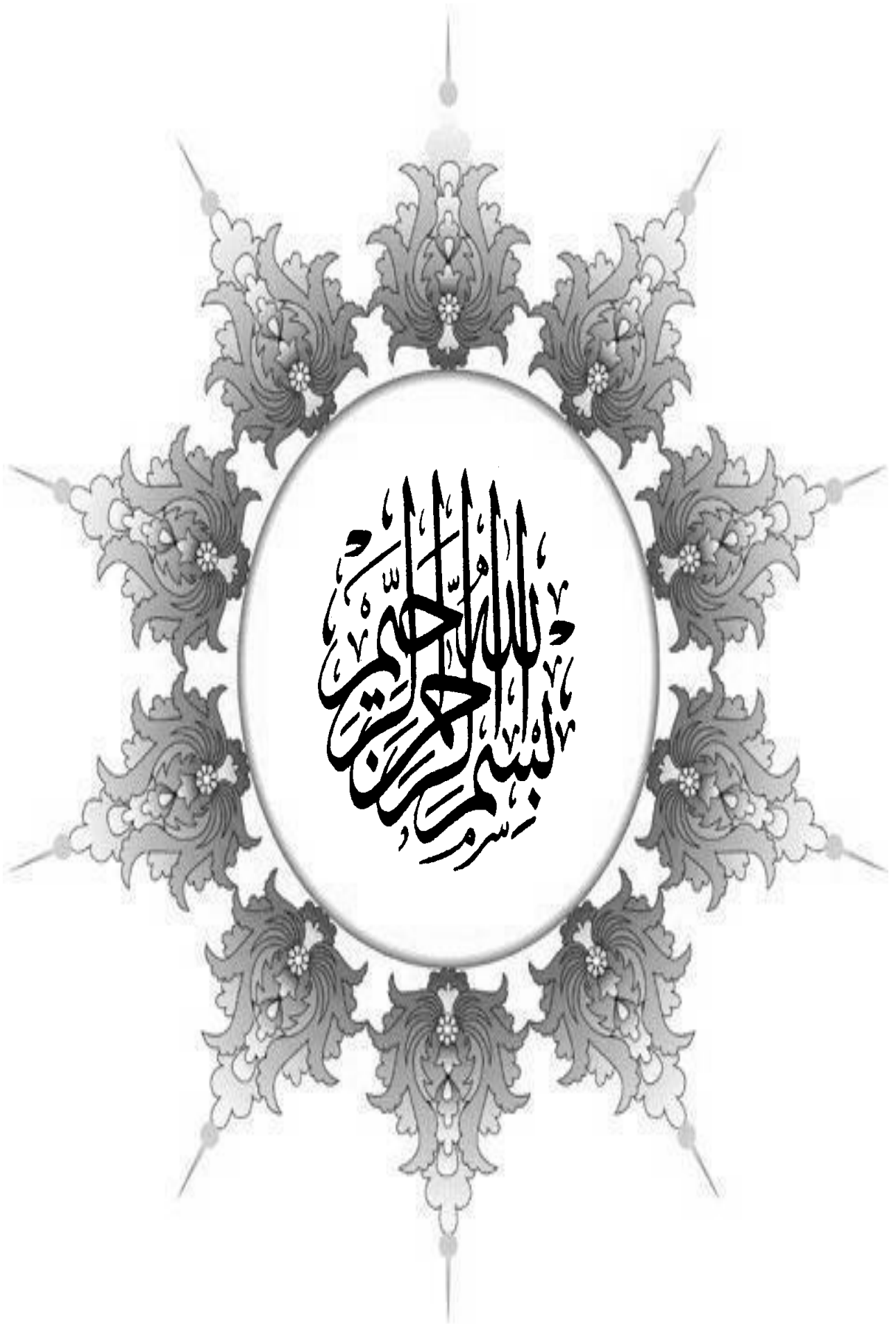
بوقرن الخنساء

لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
1	شويني علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945	رئيسا
2	بدة فوزية	أستاذ محاضر "ب"	جامعة 8 ماي 1945	مشرفا
3	مرزوقي عبد الحميد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945	مناقشا

السنة الجامعية: 2024-2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وبفضله وكرمه ينجز العمل وتذلل الصعوبات
الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم
الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه المذكرة
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من علم وتعلم
هذه المذكرة تمثل تتويجا لسنوات من السعي والتعلم
ولا يسعني أن أنهي هذا الجهد العلمي إلا بأن أتقدم بفائق الشكر والامتنان للأستاذة
المشرفة

بذة فوزية

لما قدمته لي من توجيهات ونصائح بناءة في إنجاز هذا العمل
كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة لما يقدمونه من نصائح بناءة تخدم
الموضوع

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كافة أساتذة قسم الفلسفة
لما قدموه من معارف قيمة خلال السنوات الماضية

الإهداء

الحمد لله حبا وشكرا وامتنان على البدء والختام
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين
من قال أنا لها... نالها

لم تكن الرحلة قصيرة ولا الحلم قريبا ولا الطريق مليئا بالتسهيلات لكنني فعلتها ونلتها
وبكل حب أهدي ثمرة نجاحي وتخرجي إلى نفسي العظيمة التي تحملت كل العثرات رغم الصعوبات
إلى روح والدي الغالي رحمة الله عليه
إلى من علمني أن الإيمان يصنع المعجزات وأن العلم نور لا ينطفئ
ومن شجعني ودفعني من أجل الوصول هنا
وها أنا اليوم هنا ولكن دون وجودك بجانبني ولكنك حاضرا بقلبي دائما
ها قد فعلتها يا أبي لتتم بسلام تفاخرا بابنتك عند أهل السماء
داعية الله أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناتك وأن يجمعني بك في جنات الخلد
إلى من سهرت الليالي ومن سجدت طويلا داعية الله تعالى من
أجل نجاحي وإلى تحقيق ما كان بالأمر حلما
أمي الغالية

إلى من شاركني الطفولة والضحك واللعب
إلى القلوب البيضاء التي ساندتني في الحياة
قد لا أقولها كثيرا لكنني ممتنة لكل لحظة جمعتنا
فأنتم النعمة التي أحمد الله عليها
(إخوتي وأخواتي)

إلى رفيق الدرب وسندي في لحظات التعب والذي كان سببا في إلهامي
ومن منحني الثقة عندما تراجع وتراجعت ومن دعاني للاستمرار حينما ظننت أنني
لن أقدر

شكرا على صبرك ودعمك وحبك الذي منحني القوة والاستمرار

خريجتكم الخنساء

زوجي الغالي



مقدمة

مقدمة:

تمهيد:

لقد شهدت النهضة العربية اهتمام واسع من قبل المفكرين والباحثين، رغم تباين توجهاتهم الفكرية واختلاف منطلقاتهم، ولا سيما جهودهم المبذولة سعياً إلى تحقيق التقدم والرفي الحضاري، منطلقاً في ذلك من الإدراك الذي يدعو إلى ضرورة إعادة بناء الحضارة الإنسانية، وفك القيود الطبيعية والاستعمار، عبر الوقوف على حيثيات الأزمة الحضارية وإرهاصاتهما، وفهم أسبابها وجذورها.

ومن هنا نجد العديد من المفكرين سعوا إلى تقديم حلول جذرية ومعالجات منهجية وفق اجتهادات عقلية، تنظر إلى الواقع برؤية علمية متزنة، محاولة في ذلك تفكيك عناصر الأزمة الداخلية والخارجية بهدف الخروج من دوامة التقهقر والتبعية، من خلال إحراز تقدم حضاري وارتقاء ضمن سيورة تطويرية متواصلة، فيبدو من الضروري في هذا الإطار أن نعود إلى الواقع الإسلامي المعاصر الذي نجده في مفترق الطرق، يتراوح بين محاولات النهوض وتحقيق التوازن، بين مخاطر التراجع والانغلاق، وهذا لا يتحقق إلا بتشخيص موضوعي دقيق لأزمتهما المركبة، بعيداً عن الأحكام الانفعالية، باعتبار أن أي قراءة سطحية تهمل عمق الأزمة، أو تكتفي باللقاء اللوم على الآخر، مما يبقى الفكر داخل دائرة الانغلاق والتقليد.

فظهرت مشاريع عديدة حاولت أن تعيد للفكر العربي قدرته على الفعل والاستقلال، وكان من أهمها مشروع المفكر المصري حسن حنفي الذي تميز بجرأته في عرض قضايا الهوية، التجديد والعلاقة مع الآخر.

وفي سياق هذا المشروع برز مفهوم الاستغراب كمحاولة لتفكيك المركزية العربية وإعادة الاعتبار للمعرفة الشرقية، فبعد العديد من السنوات في الدراسات الاستشرافية التي قام بها المستشرقون بجعل الشرق موضوعاً لفكر الآخر، فنجد حنفي اتجه عكس هذا وذلك من خلال دراسة الشرقيون (الغرب)، وذلك بتفكيكه، وفهم ثقافته وتاريخه من وجهة نظرهم هم، لا من منظور الحضارة الغربية، فالاستغراب عند حنفي ليس بمثابة رد فعل على الاستشراق فقط، بل عبارة عن بناء معرفي بديل يسعى إلى تأسيس "علم الاستغراب" كنوع جديد من الفلسفة والفكر، فيضع الغرب في موقع الدراسة والنقد لا كنموذج للاقتداء به، بل كونه فكرة تاريخية وثقافية يمكن تفكيكها وفهمها. وهذا المفهوم نجده في مشروع أوسع ألا وهو "التراث والتجديد"، إذ أن النهوض والتطور لا يمكن أن يتحقق بتقليد الغرب أو برفض التراث، بل من خلال إعادة قراءته باعتماد على منهج عقلاني نقدي.

ومع أهميته البارزة إلا أنه لم يخلو من الانتقادات، وذلك لما يراه بعض المفكرين أنه من جهة عبارة مشروع طموح من الجهة الفكرية، ومن جهة أخرى يخلو من الخطوات العملية، ومن هنا تعددت الآراء واختلفت، فمنهم من يرى أنه قفزة نوعية في التفكير العربي، إلا أن البعض الآخر يرى أنه تكرار لمواقف إيديولوجية أكثر من كونه بناء معرفياً. وهذا الاختلاف في المواقف يعكس لنا مدى أهمية وإشكالية هذا المفهوم، هنا لابد من دراسته وفهمه بعمق وتحليل وجهاته النظرية والمنهجية. ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية:

هل يعد مشروع الاستغراب عند حسن حنفي محاولة لبناء معرفة جديدة بالغرب من منظور عربي إسلامي، أم أنه لا يعدو كونه مجرد رد فعل دفاعي على مشروع الاستشراق الغربي؟
تحت هذا السؤال المركزي انبثقت عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- ما هو الاستغراب عند حسن حنفي؟
 - ما هو الاستشراق؟
 - هل يعد مشروع الاستغراب عند حسن حنفي مجرد انعكاس للاستشراق فعلاً؟ أو محاولة لفهم الفكر الغربي ونقده؟
 - كيف ساهم الاستغراب في نهوض الأمة العربية الإسلامية؟
- وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا الخطة التالية:
- مقدمة، تحتوي على تمهيد عام عن الاستغراب مع ضبط الإشكالية والخطة التي اتبعتها في إنجاز هذا الموضوع، مع ذكر أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع، مع الصعوبات التي واجهتنا خلال عملية البحث.
 - مدخل مفاهيمي، تناولنا فيها مفهوم الاستشراق، مفهوم الاغتراب والتغريب، والعلاقة بين الاستغراب والاستشراق.
 - الفصل الأول بعنوان تأصيل الاستغراب وطبيعته عند حسن حنفي وأهدافه:
 - أولاً: نشأته.
 - ثانياً: الأهمية من دراسة علم الاستغراب.
 - ثالثاً: طبيعة الاستغراب عند حسن حنفي.
 - رابعاً: أهدافه.

• أما بالنسبة للفصل الثاني بعنوان تجديد النظر في التراث عند حسن حنفي ودور مشروع الاستغراب في النهوض:

- أولاً: الرؤية التجديدية للتراث.

- ثانياً: صراع الأنا والآخر في بناء مشروع الاستغراب.

- ثالثاً: رؤية حسن حنفي للوعي العربي في إطار مشروع الاستغراب.

- رابعاً: إسهامات الاستغراب في تنمية الفكر العربي.

• والفصل الثالث بعنوان قراءة تقييمية نقدية لمشروع الاستغراب:

- أولاً: تضارب الآراء بين مؤيدين ومفنديين.

- ثانياً: الانتقادات الموجهة لعلم الاستغراب.

• وأخيراً خاتمة، والتي كانت خلاصة بحثنا، من خلالها أجبنا عن الأسئلة المطروحة في المقدمة.

وتكمن الأهمية من دراسة الاستغراب عند حسن حنفي من أجل مواجهة هيمنة الثقافة الغربية، وتحرير الفكر العربي الإسلامي، وبناء مشروع يهدف للنهوض وتحقيق الاستقلال الذاتي من أجل خلق توازن بين الأنا والآخر.

أما أسباب اختيار الموضوع تكمن في:

- إن الاستغراب فكرة جديدة ومختلفة لا بد من التطرق إليها ودراستها من أجل التعرف عليها في كافة أنحاء العالم العربي، وذلك من أجل توعية الشعوب العربية بها.

- يعد حسن حنفي من أهم المفكرين العرب المعاصرين، فجاء بمشروعه الاستغراب يطرح فيه إسهاماته في فهم الغرب، وذلك بهدف بناء فكر عربي معاصر يخدم الثقافة العربية الإسلامية.

- لأن الموضوع يتماشى مع واقعنا الثقافي والفكري، ومدى تأثرنا نحن العرب بالثقافة العربية.

فلا بد من توعيه المجتمع بواقعه المعاش، ولا بد من النهوض بالأمة العربية والتخلص من التبعية الفكرية للغرب.

أما بالنسبة للمنهج فاتبعنا المنهج التحليلي والنقدي وذلك من خلال تحليل أفكار حسن حنفي في مشروعه الاستغراب ومحاولة تبسيطها وفهمها إلا أنه من غير الممكن التطرق للنقد رغم الأفكار التي طرحها حسن حنفي التي لا تخلو من النقد.

أما بالنسبة للصعوبات، فلا يخلو أي بحث من مواجهة صعوبات في دراسته، فتكمن في صعوبة أفكار حسن حنفي وطريقة دراسته وطرحه لأفكاره كونه لم يتبع منهج معين.

مدخل مفاهيمي

أولاً: مفهوم الاستشراق والاستغراب:

1. مفهوم الاستشراق:

أ. لغة: جاء في المعجم الوسيط شرقت شرقاً وشروقاً إذا طلعت¹ حيث وافق هذا التعريف مع آخر في نفس المعنى في لسان العرب (شرق) شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرق طلعت المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق يقال شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا ذهبوا إلى المشرق وكل ما طلع من المشرق فقد شرق.²

بمعنى أن كلمة الاستشراق مأخوذة من الاسم شرق والذي يتمحور حول معاني (الوضوح، الطلوع، النور) وفي تعريف آخر مأخوذة من شرق، يقال شرقت الشمس إذا طلعت وهي تعني مشرق الشمس.³ إذا يمكن القول أن لفظ الاستشراق مأخوذة على وزن استفعال كونها مشتقة من كلمة شرق ثم تم إضافة لها ثلاثة حروف ألا وهي الألف والسين والتاء (استشرق) بمعنى طلب الشرق.

ب. اصطلاحاً:

يعني علم الشرق أو علم العالم الشرقي⁴ حيث هنا قام بتسليط الضوء على مكان تواجد الاستشراق ألا وهو العالم الشرقي (الشرق) بكونها منطقة تتميز بتقاليدها، وفلسفتها، وأدوارها التاريخية في تشكيل الحضارة الإنسانية أو بعبارة أخرى أن هذا العلم خاص بهذه المنطقة. كون أن الاستشراق مجال علمي يهتم بدراسة الثقافات واللغات والتاريخ والمجتمعات الشرقية من وجهة نظر الباحثين الغربيين، هدف فهم التراث الحضاري والأنماط الفكرية لتلك المناطق، مع تحليل الجوانب الثقافية والدينية والاجتماعية. فلا بد من وجود تعريف في نفس الصدد ويقترب منه في المعنى على أنه ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.⁵ بمعنى أنه تيار فكري وحركة علمية نشأت في الغرب تهدف إلى دراسة الشرق، خصوصاً العالم الإسلامي من زوايا متعددة تستهل الحضارات، الأديان، الآداب، اللغات، والثقافات، يركز المستشرقون على تحليل الجوانب المختلفة للحياة في الشرق من منظور أكاديمي أو ثقافي لكن هذه الدراسات غالباً مرتبطة بخلفيات استعمارية أو إيديولوجية أو

¹ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ج1، القاهرة، 2004، ص.

² ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1919، ص 224.

³ صالح حمد حسن الأشرف: الاستشراق مفهومه وآثاره، جامعة محمد سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة، 1473هـ، 1438، ص 12.

⁴ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1997، ص 7.

⁵ عبد الله محمد الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997، ص 25.

بمعنى آخر الاستشراق يعكس اهتمام الغرب بالشرق لكنه يحمل أبعاداً معقدة تجمع بين البحث العلمي والمصالح السياسية والإيديولوجية، لذا ينظر إليه اليوم بنظرة نقدية أكثر تدعو لفهمه في سياق العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب. ولابد من معرفة التأصيل التاريخي لهذا المصطلح كونه قديماً أو حديثاً وذلك من خلال الاطلاع على تعريف آخر للاستشراق باعتباره مصطلح حديث أصبح متداول في القرن الماضي وهو ترجمة لكلمة "Orientalisme" وتعني الدراسة الغربية للشرق وهي دراسة العلوم والأدب والثقافة الإسلامية بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاتهم وأسباب قوتهم ومواطن ضعفهم.¹

ونفهم من هذا الكلام أن الاستشراق ليس مجرد دراسة سطحية للشرق، بل هو مدرسة فكرية تحمل في طياتها أبعاداً معقدة، تتسم بخصائص محددة، ودوافع متعددة، وغايات أعمق، فهو يعكس رؤية الغرب للشرق، سواء كانت هذه الرؤية ثقافية، دينية، أو سياسية. لذلك، يصعب على الباحث العادي الإحاطة بكل أبعاد هذه المدرسة بسهولة، لأنها تحتاج إلى فهم شامل للجوانب التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تؤثر فيها. كما أن هناك دائماً أهداف غير مباشرة أو خفية تتطلب تحليلاً عميقاً للكشف عنها.

وفي تعريف آخر عرف على أنه اتجاه فكري يعني بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، غيرها من مجالات الدراسة الإسلامية الأخرى.²

ومنه يمكن القول أن الاستشراق هو مجال دراسي شامل، بدأ في أوروبا اهتم بمختلف الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية، حيث وجه اهتمامه بفهم وتحليل الإسلام والمسلمين، إلا أن هذه الدراسات كانت موضوعية.

بالإضافة إلى تعريف آخر فالاستشراق هو أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعنقي والإيديولوجي بين الشرق والغرب، ومرة يراود به: ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من علماء الغرب.³

بمعنى أنه أسلوب فكري يقوم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب بما في ذلك الدراسات الأكاديمية التي يقوم بها العلماء الغربيين بهدف دراسة الإسلام والمسلمين.

¹ سيد صلاح سعد الدين: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 1998، ص 85.

² صالح محمد حسن الأشرف: الاستشراق مفهومه وآثاره، مرجع سابق، ص 14.

³ ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 20.

إذن الاستشراق هو دراسة الغرب لحضارة الشرق بكل جوانبها، حيث ينظر إلى الشرق كموضوع للبحث والتحليل، بينما الغرب هو الجهة الدارسة التي تسعى لفهم الشرق وبذلك أصبح الشرق في نظر العالم الغربي مصدر إلهام روحاني وثقافي".¹

2. مفهوم الاستغراب:

أ. لغة: الاستغراب كلمة مأخوذة من "غرب" التي تعني مغرب الشمس. وبناء على هذا فالاستغراب هو علم الغرب² أي أنه علم يهتم بدراسة الحضارة الشرقية للحضارة الغربية.

وفي لسان العرب وقد ورد منه "استغرب في الضحك أغرب إذا أكثر منه، وأغرب: استضحكه ولج فيه: يقال أغرب في ضحكك، واستغرب وكأنه من الغرب البعد، واستغرب الدمع سال"³.

فكلمه "استغراب" في معناها اللغوي المباشر تدل على الشعور بالدهشة أو الحيرة بسبب غرابة شيء ما أو اختلافه عن المؤلف. هذا الاستخدام يعكس رد فعل طبيعي اتجاه ما هو غير معتاد أو غير مألوف. كما تدل كلمة استغرب على شيء أو المبالغة فيه إلى حد كبير كما يشير إلى اتجاه الغرب كقول ابن سيدة: "الغرب خلاف الشرق وهو المغرب" وقوله تعالى: "رب المشرقين ورب المغربين" أحد المغربيين: أقصى ما تنتمي إليه الشمس في الصيف، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء، وأحد المشرقين أقصى ما تشرق منه الشمس في الصيف، والآخر أقصى ما تشرق منه في الشتاء. بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى مائة وثمانون مغرب وكذلك بين المشرقين.⁴

أما في تاج العروس جاء "الغرب النشاط والتمادي في الأمر، الغروب غروب الشمس، غربت الشمس، تغرب هروبا ومغربا غابت في المغرب وكذلك غابت في النجم"⁵. وهذا ما نجده في التعريفات السابقة أن الاستغراب ما هي إلا كلمة مشتقة من الغرب.

كما يعرف بأن: اشتقاق الاستغراب من لفظ الغرب استغرب من الشرق استشرقه لكنه ضد الاستشراق وهو استكمال لحركة التحرير العربي فلا يكفي لحركة التحرر أن تتحرر من قوات الاحتلال فقط ولكن

¹ قطان حمدي محمد، أدوار المستشرقين في تشويه معالم السنة النبوية، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 03، عدد 10، جامعة تكريت، بغداد، ص 04.

² يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص 16، 17.

³ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 642.

⁴ جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم الملايين، دب، المجلد الأول، 1992، ص 63.

⁵ محمد مرتضى بن محمد الحسني الزبيدي، تاج العروس جواهر القاموس، بيروت، ط1، 2007، ص 258.

تتحرر من أشياء لدراسته¹، وبالتالي، فإن الاستغراب هو نقيض الاستشراق، حيث يتعلق الاستشراق بالاهتمام بالشرق وثقافته، بينما يشير الاستغراب إلى التوجه نحو الغرب وثقافته. هما كلمتان متضادتان عن اتجاهين متعاكسين.

ب. اصطلاحاً:

بات مصطلح الاستغراب يستخدم بشكل واسع في عصرنا الحالي، وقد نشأ نتيجة للتفاعل بين الحضارات، حيث يعد هذا التفاعل من السمات الأساسية للحضارات الإنسانية عموماً، ويعكس الطبيعة الفطرية للبشر "ربما جاء الوقت الذي يساهم فيه الباحثة بقدر من الطرح الموضوعي حول مفهوم الاستغراب برؤية إسلامية مؤهلة لا تقوم على ردود الأفعال وتغلب العاطفة وتحيز الأشخاص القائمة على العدل والقسط"² حيث نجد الباحثين هنا يدعو إلى تناول مفهوم الاستغراب من منظور إسلامي متزن ومنهجي، وهي تشير إلى أهمية التعامل مع هذا المفهوم بعيداً عن الانفعال العاطفي أو التحيز الشخصي، بحيث يكون الطرح قائماً على أسس من العدل والانصاف.

حيث وضع تودوروف تعريف للاستغراب على أنه: "رصد ألوان العلاقة والمشاعر بين الشرق والغرب طوال نحو خمسة وعشرين قرناً وهو وحيد الاتجاه كما لاحظته تودوروف إذ ظل محصور في اهتمامات علمية ومعرفية تنبعث من الغرب نحو الشرق دون أن تشهد اهتمامات تأخذ الاتجاه المعاكس يمكن أن نطلق عليه مثلاً الاستغراب"³ حيث نجد تودوروف هنا قام بتسليط الضوء على طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب، حيث يركز على كون هذه العلاقة كانت في الغالب من طرف واحد، أي أن الغرب كانت الطرف الأكثر اهتماماً بدراسة الشرق من كل الأبحاث العلمية والمعرفية. وفقاً لتودوروف، فإن هذا الاهتمام تمثل في محاولة الغرب فهم الشرق ورفضه. لكن دون أن يكون هناك جهد مكافئ أو مماثل من الشرق لدراسة الغرب بشكل علمي أو معرفي. وبالتالي، يصف الاستغراب هنا بأنه ظاهرة يمكن أن تكون عكسية للاستشراق، إذا ما تم تطوير اهتمام معرفي من الشرق بدراسة الغرب بنفس العمق.

¹ رفعت العوض، ماذا يعني الاستغراب؟، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة، 2009، ص 3.

² علي إبراهيم النملة: الاستغراب المنهج في فهمنا للغرب، كتاب المجلة العربية، المملكة العربية السعودية، ص 10.

³ أحمد درويش: الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ط1، دار الغريب، القاهرة، 1994، ص 31.

فقد جاء تعريف آخر للاستغراب على أنه "ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة يتميز الأفراد الذين يجسدونها بالميل نحو الغرب والتعلق به ومحاكاته، نشأت في المجتمعات غير الغربية، سواء كانت إسلامية أم لا على أثر الصدمة الحضارية التي أصابتها قبيل الاستعمار وخلالها".¹

حيث هنا تم وصف ظاهرة الاستغراب بأنها تشير إلى توجه نفسي واجتماعي وثقافي لبعض الأفراد في المجتمعات غير الغربية (سواء كانت إسلامية أو غيرها) نحو تقليد الغرب ومحاكاته، نتيجة لما يسمى بـ"الصدمة الحضارية". هذه الصدمة قد حدثت بسبب النقاوة الكبير الذي شعر به الأفراد وعندما واجهوا تقدم الغرب في المجالات العلمية والثقافية والتكنولوجية مقارنة بمجتمعاتهم، سواء كان ذلك قبل أو أثناء فترة الاستعمار.

ونفهم من هذا أن الاستغراب يهتم بشكل خاص بالثقافة الغربية، وعلى العرب الاستفادة من خلال دراسة هذه الثقافة وتحليلها. وهذا الاهتمام لا يقتصر على العادات والتقاليد فقط بل يمتد ليشمل الجوانب الأساسية للحياة اليومية في الغرب.

ويشير الدكتور "علي إبراهيم" إلى أن الاستغراب "قد يعني من ناحية أخرى ميل البعض إلى الغرب والأخذ منه وتقليده والنقل عنه". "حيث يذهب إلى أن الاستغراب نتج عن ميل البعض ورغبته في الغوص في أعماق ثقافة الغرب عن طريق تلقيه، إما في اللباس أو نقل عنه مختلف الأمور مثلاً كطريقة التفكير وطريقة الحديث وكذلك التعامل مع الأشياء".²

حيث ذهب إلى نفس التعريف الدكتور "عبد النبي إصطيف" على أن الاستغراب "مصطلح مولد يعود إلى الربع الأخير في القرن العشرين بوصفه رداً على الاستشراق الذي جاء به "إدوار السعيد" والمقصود به طلب الغرب والسعي إلى حقيقة ومجازاً، ويتجسد عملياً في إنتاج معرفة حين توظف في مواجهته والتعامل معه على مختلف الأصعدة والمستويات".³

يمكن فهم مصطلح الاستغراب على أنه حركة ظهرت كرد فعل على الاستشراق، تسعى إلى دراسة الغرب من منظور شرقي، بهدف تقديم رؤية شرقية لفهم الحضارة والثقافة الغربية.

¹ عبد الله الشارف: الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر، منشورات نادي الكتاب لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2003، ص 30.

² علي إبراهيم النملة، المنهج في فهمنا الغرب، مرجع سابق، ص 10.

³ عبد النبي إصطيف، الاستغراب معرفة الآخر ومعرفة الذات، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2014، ص 12.

ثانيا: مفهوم التغريب والاعتراب:

1. مفهوم التغريب:

أ. لغة: يراد بالتغريب في اللغة العربية، "النفي والابعاد عن البلد".¹

يقول ابن منظور "... وغربه وأغربه تجاه... والتغريب النفي عن البلد... ومنه الحدين أنه أمر بتغريب الزاني، التغريب: النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه، ويقال أغربته وغربته إذا نحته أبعده... وغربه مصدر وغرب عليه: تركه بعيداً".² وهو فعل مأخوذة من مادة (غ.ر.ب) وهو مصدر بوزن تفعيل.

والتغريب هو: "النفي والابعاد الإجباري، بحيث الإنسان لا يملك أي أحقية للدفاع كونه يفرض عليه فرضاً ويسمى هذا النمط من الارتحال (بغربة القهر)".³ ويعني هذا أن التغريب هو شكل من أشكال النفي والابعاد القسري، حيث يجبر الشخص على مغادرة وطنه أو بيئته دون أن يكون له الحق في الدفاع عن نفسه أو الاعتراض على هذا القرار. بمعنى آخر يفرض عليه الرحيل دون إرادته، ما يجعله في حالة من العزلة والابتعاد القسري عن وطنه الأصلي.

ب. اصطلاحاً:

يعرف الأستاذ أنور الجندي التغريب بأنه: "حركة كاملة لها نظامها وأهدافها ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها، تستهدف احتواء الشخصية الإسلامية الفكرية ومحو مقوماتها الذاتية وتدمير فكرها ونسبيهم بنابيع الثقافة فيها".⁴ يمكن القول من خلال هذا التعريف أن التغريب ليس مجرد ظاهرة عابرة، بل حركة منظمة ومخططة لها أهداف واضحة وآليات تعمل على تحقيقها، وأشخاص يقودونها ويديرونها. وهي تهدف بشكل أساسي إلى التأثير على الفكر الإسلامي وهويته الثقافية، بحيث يتم إضعاف مقوماته الذاتية وإفراغه من عناصره الأصلية التي تشكل أساس هويته، أو بعبارة أخرى أنه محاولة لفرض ثقافة غربية على المجتمعات الإسلامية من خلال طمس الهوية الفكرية والثقافية للأمة، وإضعاف مصادرها الفكرية الأصلية، مثل اللغة العربية، التراث الإسلامي، والتقاليد الاجتماعية وذلك بهدف استبدالها بمنظومات فكرية وثقافية أخرى تتماشى مع رؤى مختلفة.

ويعرفه في موضع آخر بأنه "صبغة الثقافة الإسلامية بصبغة غربية وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها، وتنتهي فيما أطلق عليه الثقافة العالمية أو الفكر الأممي".⁵ بمعنى أنه ليس مجرد تأثير ثقافية بسيط بل هو عملية ممنهجة تهدف إلى جعل المسلمين

¹ الجوهري أبو النصر: الصحاح تابع اللغة صحاح العربية، ج1، دار العلم للملايين، 1987، ص.

² ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص.

³ عبد الرزاق الخرشوم: الغربة في الشعر الجاهلي، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق سوريا، 1982، ص14.

⁴ أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1978، ص4.

⁵ مرجع نفسه، ص3.

يتخلون عن مقوماتهم الفكرية والثقافية لصالح نموذج فكري مختلف، ما يؤدي إلى فقدان الهوية الذاتية للأمة الإسلامية وتحويلها إلى كيان تابعة للثقافة الغربية وهذا ما يطلق عليه بالغزو الثقافي.

وعرفه الدكتور أحمد بن عبد العزيز البداح التغريب: "حركة فكرية تهدف إلى طبع المجتمع بالصيغة العربية من خلال وسائل وأساليب مختلفة".¹

ويمكن تلخيص التغريب بأنه محاولة دمج الأمة الإسلامية في إطار الحضارة الغربية بحيث تتبنى قيامها وثقافتها ونظمها الفكرية، من خلال وسائل منظمة ومخططة تهدف إلى تغيير هويتها ومحو خصوصيتها الثقافية.

2. مفهوم الاغتراب:

أ. لغة: جاء معنى الاغتراب في معجم لسان العرب كما يلي: غربت الشمس تغرب تغرباً ومغرباً في المغرب، والغرب الذهاب والتتحي عن الناس وقد غرب عنا يغرب غرباً، وغرب وأغرب وأغربه أي نحاه والغربة والغرب نزوح عن الوطن والاغتراب واغترب الرجل نكح في الغرائب وتزوج في غير أقاربه وأغرب الرجل جاء بشيء غريب وأغرب عليه وأغرب به صنعا قبيحا.² أي نقول الغربة تعني الابتعاد عن الأهل والوطن، والتغرب هو مفارقة الديار والناس. فعندما نقول أن شخصا تغرب، فهذا يعني أنه ابتعد عن وطنه وابتعد عن مجتمعه.

وفي المعجم المحيط يعني الغربة الضم النزوح عن الوطن وأيضا الاغتراب ونجد أيضا غرب غاب وعرَّب وبعَّد اغترب من غير أقاربه³ الضم النزوح عن الوطن أي الابتعاد عن المكان الإقامة الأصلي والانتقال إلى مكان آخر بمعنى الابتعاد عن الأهل أو المجتمع الذي ينتمي إليه الشخص.

وما أكدّه إبراهيم مذكور في معجمه: أن الاغتراب لغة هو البعد عن الأهل والوطن، والاغتراب الذهني مرض نفسي يحول دون سلوك المريض سلوكا سويا وكأنه غريب عن مجتمعه ولذلك يلجأ إلى عزله عنه⁴، بمعنى آخر الاغتراب الذهني يجعل الفرق غير قادر على التكيف مع المجتمع فيبدو وكأنه منفصل عنه رغم وجوده فيه.

أما تعريف الاغتراب عند جميل صليبا: "إن الغربة مرادفة المغيبة لأن غربة الشيء غرر به ومنه قولهم غاب الشيء في الشيء أي توارى فيه ومرادفة أيضا الاستلاب لأن غربة النفس استلاب حريتها"⁵.

¹ عبد العزيز بن أحمد البداح: حركة التغريب في السعودية، ط1، سلسلة كتب مركز الدراسات الإنسانية، السعودية، 2010، ص 56.

² ابن منظور لسان العرب، مرجع سابق، ص 639.

³ مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحدين، القاهرة، 2008، ص 1179.

⁴ إبراهيم منظور: المعجم الفلسفي، القاهرة، 1979، ص 16.

⁵ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص 765.

يعرف لنا جميل صليبا الاغتراب من خلال معنى مترابطين الغربية بمعنى الغيبة أي أن يكون الشيء غائبا أو متواريا عن مكانة الطبيعي، وهذا يشمل غياب الإنسان عن وطنه أم مجتمعه أو حتى عن ذاته، فالغربة هنا تعني الانفصال أو الابتعاد عن الأصل أو البيئة المعتادة، أما الغربية بمعنى الاستيلاء أي فقدان الإنسان لحرية أو إحساسه بذاته. عندما يشعر الفرد بأنه مغترب نفسيا أو اجتماعيا يكون وكأنه مسلوب الإرادة وغير قادر على التصرف بحرية، مما يجعله غريبا حتى في مجتمعه. بالتالي الاغتراب عند جميل صليبا ليس مجرد بعد جغرافي، بل هو حالة نفسية اجتماعية تعني فقدان الفرد للصلة بذاته أو محيطه، مما يجعله يشعر وكأنه غريب أو متسلب بمعنى مسلوب الحرية.

ب. اصطلاحا:

عند الحديث عن مصطلح الاغتراب نجده قديم قدم الإنسان وهذا وفقا لما أقربه مصطفى حسبية من خلال تعريفه حيث يرى أنه بدل على نوع من أنواع الانفصال والاستيلاء، وهو إحساس الإنسان بأنه ليس في بيئته وموطنه أو مكانه¹. بمعنى أن الإنسان يحس نفسه غريب عن كل شيء حتى ذاته.

أما لالاند فقد عرف الاغتراب اصطلاحا على أنه: "في المعنى الحقيقي والقديمة بيع أو تنازل عن شخص إلى شخص آخر وهو مجازا: مجال حال المنتسب إلى آخر"²، وكذلك قدم له تعريف آخر بأن الشخصية مهد متواصل بحث عن الأماكن التي يمكن فيها الانتصار حاسم على كل الأشكال القمعية والارتعانية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية أن يؤدي إلى تحرير حقيقي للإنسان³.

وفقا لتعريف لالاند، يمكن فهم الاغتراب اصطلاحا على أنه انتماء الفرد لشخص آخر أو وقوعه تحت ملكيته، وفي الوقت نفسه هو سعي الفرد للبحث عن ذاته وتحريرها عبر مقومات كل العوامل التي تؤدي إلى هذا الاغتراب.

أيضا في تعريف آخر لروجي قارودي يقول: هو ازدواج الإنسان الذي خلق رموزا ومؤسسات ولم يعد يتعرف عليه كنتاج لنشاطه فأصبح يعتبرها مستقلا إنسانيته وصعوبة المنال⁴.

يصف روجي جارودي الاغتراب بأنه حالة من الانفصال بين الإنسان وإبداعاته الفكرية والاجتماعية. بمعنى أن الإنسان يبتكر رموزا مثل (اللغة، القيم، المفاهيم) ومؤسسات (الدولة، الاقتصاد، الدين)، لكنه مع مرور الوقت يفقد ارتباطه بها ولا يعود يراها كنتاج لجهوده وإبداعه، بل تصبح وكأنها كيانات قائمة بذاتها ومستقلة عنه ونتيجة لذلك يشعر الإنسان بالعجز أمام هذه المؤسسات والرموز، لأنها تبدو له بعيدة وصعبة المنال، رغم أنها في الأصل من صنعه.

¹ مصطفى حسبية: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2009، ص 75.

² أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عبودات، ط2، بيروت لبنان،

2001، ص 43.

³ المرجع نفسه، صفحه نفسها.

⁴ جلال الدين سعيد. معجم المصطلحات والسواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ص 37.

ثالثاً: العلاقة بين الاستغراب والاستشراق

إن الحديث عن استشراق كموضوع مهم في حد ذاته وهذا راجع للاهتمام الكبير الذي تلقاه من طرف المفكرين مما نتج عنه ما يقابله، فكان هذا الأخيرة أكثر أهمية وهو ما يعرف بعالم الاستغراب باعتباره علماً قائماً بذاته مما خلق نوع من الفروقات وهذا ما دفعه إلى طرح التساؤل عن الفرق الموجود بينهما، فما الفرق بين الاستشراق والاستغراب؟ وفيما تكمن بالعلاقة بينهما؟

عند الحديث عن الاستشراق فهو عبارة عن تيار فكري وسياسي وديني يسعى لدراسة الشرق وفهمه، غالباً من منظور غربي، بينما الاستغراب هو ظاهرة حديثه تعكس تأثير المجتمعات الشرقية بالثقافة الغربية في مختلف الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية.

وهذا ما دفع بحسن حنفي إلى القول "أن الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الاستشراق فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب) فإن الاستغراب إذا يهدف إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر. للقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الفكري بتحويله من دراسة إلى موضوع مدروس"¹. يمكن القول أن الاستغراب هو نقيض الاستشراق كونه يختلف عنه من خلال المبدأ والأهداف باعتبار أنه ليس مجرد عكس له، بل هو محاولة تحرير الشرق من هيمنة الفكر الغربي. الاستشراق هو أن يقوم الغرب بدراسة الشرق وفقاً لمفاهيمه ومعايير الخاصة، مما جعله يضع نفسه في موقع المتفوق والمفسر، بينما بقي الشرق في موقعه يفسر والتابع. أما الاستغراب، فهو عملية عكسية تهدف إلى دراسة الغرب بنفس الطريقة، أي أن الشرق يصبح هو الطرف الذي يحلل ويفكك أفكار الغرب وثقافته، ليبعد التوازن في العلاقة بين الطرفين.

فيظهر لنا الفرق بين الاستغراب والاستشراق في كتاب مقدمة في علم الاستغراب للدكتور حسن حنفي

من خلال:

1. اللحظة التاريخية:

"ظهر الاستشراق قديماً محملاً بإيديولوجية مناهج البحث العلمي أو المذاهب السياسية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر خاصة من وضعية، وتاريخية، وعلمية، وعنصرية، وقومية. في حين يظهر الاستغراب اليوم في إيديولوجية مناهج علمية مخالفة مثل مناهج اللغة، وتحليل التجارب المعاصرة، وإيديولوجية التحرر الوطني"². فظهر الاستشراق قبل الاستغراب، حيث كان الاستغراب استجابة له. وقد نشأ الاستغراب في مرحلة كان المجتمع فيها بحاجة إلى تعزيز هويته، والدفاع عن نفسه، ومواجهة تحديات بقوة، والتغلب على مشاعر الخوف وعدم الثقة.

¹ د. حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، دار الفنية، بيروت، ط1، 2000، ص 27.

² المرجع نفسه، ص 30.

بينما الاستغراب ضمن إيديولوجية تستلم إلى مناهج علمية، مثل منهج دراسة اللغة والتحليل والتفسير. كما ارتبط بأفكار التحرر الوطني، حيث برز بعد حركات التحرر العربية وساهم في تشكيل وعي جديد اتجاه الغرب.

الاستشراق نجد أنه قد تغير الآن في العصر الحالي، حيث انتقلت مهمته إلى العلوم الإنسانية ولا سيما الأنثروبولوجية الحضارية وعلم اجتماع الثقافة. أما الاستغراب، فلا يزال في مراحله الأولى ولم يتبلور له شكل واضح بعد.

فإذا كانت بدايات "الاستشراق" القرن السابع عشر وبدايات "الاستغراب" في أواخر القرن العشرين، فإن الاستشراق يكون سابقاً على الاستغراب بأربع قرون في عصر النهضة الأوروبية الحديثة. المقصود هنا هو المقارنة الزمنية بين الاستشراق والاستغراب من حيث النشأة باعتبار أن الاستشراق بدأ في القرن السابع عشر، أي في مرحلة مبكرة من العصر الحديث بينما الاستغراب في أواخر القرن العشرين أي بعد الاستشراق بحوالي ثلاثة قرون.

لم يكن الاستشراق القديم محايداً بالغلبة عليه مناهج تعبير عن نية الوعي الأوروبي التي تكونت عبر حضارته الحديثة مثل مناهج تاريخية والتحليلية والاسقاطية، الأثر التأثير في حين وعن البحث الآن في علم الاستغراب أقرب إلى الشرور المحايد نظراً لأنه لا ينبغي السيطرة أو الهيمنة بل ينبغي التحرر من مسار الآخر حتى يوضع الأنا والآخر على نفس المستوى من الندية والتكافؤ.¹

نجد الاستشراق هنا لم يكن محايداً، باعتباره كان يعبر عن بنية الوعي الأوروبي كونها كانت مجرد تعبير عن الوعي الأوروبي وهيمنته على دراسة الشرق. أما الاستغراب، فقد تبنى موقفاً أكثر حيادية، حيث يسعى الباحث فيه إلى فهم الغرب دون الخضوع لسيطرته، بل يتكون في موقع متكافئ معه باعتباره لا يقبل الخضوع.

فإذا كان "الاستشراق" هو دراسة الحضارة الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى ولهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها فإن "الاستغراب" هو العلم المقابل بل والمضاد له وتكون الجهة الثانية "موقف من التراث الغربي" هو التعبير عن وعينا بهذا العلم ومادته الأساسية.²

نجد أن الاستشراق أو الاهتمام بدراسة الحضارة الإسلامية سواء دراسة موضوعية أو ذاتية من قبل مفكرين وباحثين من حضارة أخرى غير إسلامية.

الاستغراب على عكس الاستشراق، باعتبار أن الاستغراب يهتم بدراسة الغرب والحضارة الغربية بطريقة تفكيكية وعلمية، بهدف فهم الأسباب التي أدت إلى تفوقه وعظمته في مختلف المجالات وقد تجلّى هذا المفهوم من خلال طرح حسن حنفي للجهة الثانية "موقفنا من التراث الغربي وهذا الأخير كان عبارة عن إسهام لإعادة الوعي العربي وتعزيز نهضته.

¹ المصدر نفسه، ص 31.

² حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، المصدر السابق، ص 31.

وكخلاصة، فإن علم الاستغراب لم يكن وليد الصدفة، بل يمتد بجذوره إلى التاريخ الإسلامي والغربي، نتيجة للتواصل بين العرب والغرب. وقد برز بوضوح في الفكر العربي المعاصر، حيث تبنته مجموعة من المفكرين، وعلى رأسهم حسن حنفي باعتباره أحد أهم الحركات الفكرية التي سعت إلى فهم الغرب من منظور عربي في ظل تراجع الأمة العربية. حيث نجد علم الاستغراب احتل موقعا وسط بين الحركات الفكرية التقليدية التي سعت إلى إحياء التراث العربي وتعزيز مكانته وبين محاولات منح الفكر العربي موقعا مكافئا للفكر الأوروبي والعالمي، مع التخلص من عقدة النقص لدى الشعوب غير الأوروبية، كما أنه يسعى إلى فهم الوعي الأوروبي واحتوائه، في إطار رد فعل على علم الاستشراق، الذي يعد نقيضه، حيث حاول الاستغراب تفكيك الرؤية الغربية للعالم العربي وإعادة صياغتها من منظور عربي مستقل.

الفصل الأول: تأسيس

الاستغراب وطبيعته عند حسن

حنفي وأهدافه

الاستغراب وطبيعته عند حسن

تمهيد:

شهد الفكر العربي المعاصر اهتمامًا متزايدًا بقضية العلاقة بين الشرق والغرب، خاصة في ظل الهيمنة الثقافية الغربية التي أعقبت الاستعمار العسكري والسياسي. من هذا المنطلق، ظهر علم الاستغراب كمقابل نقدي لعلم الاستشراق، ليعبر عن رغبة المثقف العربي في استعادة المبادرة المعرفية وتحليل الآخر - أي الغرب - من منظور الذات الحضارية الشرقية. ويُعدّ المفكر حسن حنفي أحد أبرز من نظّروا لهذا المشروع، حيث دعا إلى بناء علم جديد يُعنى بدراسة الغرب كما درسنا الشرق، بهدف تفكيك مرجعياته الثقافية والفكرية، وتحقيق توازن معرفي بين الطرفين.

هذا الفصل يتناول الأسس الفلسفية والتاريخية التي أنبنى عليها علم الاستغراب، مع تسليط الضوء على تصوّر حسن حنفي لطبيعته وأهدافه.

أولاً: نشأته:

نشأ علم الاستغراب نتيجة تداخل مجموعة من العوامل التي أدت إلى ظهوره كعلم مستقل، شأنه شأن باقي العلوم. وقد برز هذا العلم بوضوح في الساحة العربية خلال العصر الحديث، بفضل جهود مجموعة من المفكرين العرب الذين ساهموا في لفت انتباه العلماء والمفكرين الغربيين، من خلال تسليط الضوء على الإنجازات الفكرية العميقة التي وصل إليها الغرب.

يعود أول انبثاق لعلم الاستغراب إلى الوحي الديني أو العقيدة الإسلامية، باعتبارها أحد الأصول التي يستند إليها العلم الحقيقي. وتجدر الإشارة إلى أن نشأة الاستغراب لم تكن حديثة، بل تمتد جذوره إلى التاريخ الإسلامي، كما أن له امتدادات في العالم الغربي نتيجة التفاعل المستمر بين الشرق والغرب. وكما أشار حسن حنفي، فإن أصول الاستغراب تمتد إلى الحضارة اليونانية التي تُعد جزءاً من الغرب جغرافياً وتاريخياً وحضارياً، حيث شكلت مع الرومان مصادر الوعي الأوروبي. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأنا الحضاري الغربي الحديث استمد الكثير من عناصره من تراث حضارات مصر وكنعان وآشور وبابل وفارس والهند والصين، وهي الحضارات التي ورثها الإسلام وصاغ منها هويته الحضارية الجديدة.¹

كما أرجع البعض بداية دراسة الاستغراب إلى ما قام به كل من رفعت رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وغيرهما اللذان اهتمتا بدراسة النظام السياسي الغربي القائم على الانتخاب والحرية السياسية، كذلك اهتم بجوانب من الحياة الاجتماعية في الغرب وعلاقة الرجل بالمرأة على وجه الخصوص وأكاد أجزم أن المسلمين قد بدأوا ذلك قديماً خلال عصورهم الزاهرة، خلال ترجمتهم لكتب اليونان، أو قبل ذلك وهو أمر يحتاج إلى جهود علمية مكثقة.²

"إلا أننا نجد البعض الآخر من الباحثين ونقاد أرجع نشأة الاستغراب وبدايته إلى مواجهة التغريب الذي شهد أثره توسعا ليس فقط في الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهدد استقلالنا الحضاري بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة صاحب الانفتاح الاقتصادي على

¹ حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 58.

² د. حسن بن محمد بن علي البارقي، الاستغراب "البعد الديني في الاستغراب المعاصر"، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ص 156.

الرأسمالية العالمية الانفتاح اللغوي على الألفاظ الأجنبية. فأصبحت كل كلمة عربية تتجاوز عقدة نقصها فيتم ربطها بكلمة غربية أو تنتقل الألفاظ الأفرنجية إلى حروف العربية الفصحى، وازدوجت مع العامية".¹ بمعنى أن الاستغراب جاء كرد فعل على التغريب لكون هذا الأخير غزا الثقافة واللغة والحياة اليومية، مما توصل إلى أن اللغة العربية نفسها أصبحت عبارة عن الجمع بين ألفاظ عربية وأجنبية. "لم يعد أحدا قادرا على لغة عربية سليمة سواء كانوا قادة أو رجال الإعلام ولا حتى المثقفين وأساتذة الجامعات الحديثة. لدرجة أننا أصبحنا آخر من يتكلم العربية على نحو سليم رغم أننا حافظنا على عربيتنا من خلال بعثتنا العلمية وسبقنا في ذلك المغرب والشام. وأصبحنا نعرف بلهجتنا العامية المصرية وليست بلغتنا العربية الفصحى إلا في القرآن الكريم".² وصلنا إلى مرحلة لم يعد هناك من يتقن اللغة العربية كون أن حديثنا أصبح باللهجة المصرية العامة، ونستخدم العربية الفصحى إلا في القرآن الكريم. وهذا نتيجة "الخليط الذي تحولت له مدننا من أساليب العمارة اللاهوية لها، فلاهي تقليدية حافظت على الطابع القديم ولا هي حديثة لها طابع الحداثة".³

وعادة ما يتحول التغريب الثقافي إلى مولاة سياسية للغرب مما يسبب فيها بعد ثورات الشعوب الوطنية تأكيداً للهوية والثقافية والوطنية في جدل تاريخي مستمر بين الأنا والآخر. وعلى الرغم من ذلك لم تنشأ لدينا قضية عروبة الثقافة، رغم هذا إلا أن مصر أصبحت من أشد البلاد الإسلامية تغريباً، ومع ذلك حافظت على عروبة باقي الأقطار العربية، وفرطت فيما لم يقضي الاستعمار عليه".⁴ غالباً ما يؤدي احتكاك الناس بالثقافة الغربية إلى أن أصبحوا أقرب سياسياً للغرب، وهذا ما يدفع بالشعوب إلى قيام ثورات من أجل الحفاظ على هويتها وثقافتها، رغم أن التغريب في مصر لم يصبح قضية كبيرة واضحة، إلا أنها نجدها من أكثر الدول الإسلامية التي أثرت فيها الثقافة الغربية. ومع هذا تمكنت من المحافظة على عروبة الدول الأخرى العربية، في الأماكن التي فشل الاستعمار في تغييرها.

"فالتغريب نوع من الاغتراب أي تحول الأنا إلى الآخر، فبعد الاستقلال الوطني عاد المستعمر وانتشر التغريب، استقلت البلاد لكن الأذهان لا زالت محتلة. بمعنى أنها لا تزال تحت سيطرة المستعمر. وقد ولد

¹ عبد الرزاق شيخ، الاستشراق والاستغراب وحتمية تأسيس علم الاستغراب في العالم العربي، مجلة المزهر أبحاث في اللغة والأدب، العدد 05، 2021، ص 67.

² المرجع نفسه، ص 67.

³ المرجع نفسه، ص 67.

⁴ المرجع نفسه، ص 68.

الفعل وهو التوجه نحو الآخر في رد فعل وهو الرجوع إلى الأنا كما هو الحال في الثورة الإسلامية والحركة الإسلامية المعاصرة في شتى أنحاء العالم العربي الإسلامي".¹

يمكن القول أن الاستغراب جاء كرد فعل على التغريب كونه امتد إلى مظاهر حياة الإنسان الثقافية واليومية. باعتباره جاء لإزالة معالم الحياة الدينية والإسلامية، وفرض سيطرتها على المجتمعات وذلك من خلال التبعية الغربية من خلال تقليد الغرب. ومن هنا يمكننا طرح تساؤل التالي: لماذا ندرس الغرب؟ وكيف تتم دراسة الغرب؟

– لماذا ندرس الغرب:

"ولعل سائلا يتساءل لماذا ندرس الغرب؟ وكيف لنا أن ندرس هذا العلم الذي سبقنا بمراحل عديدة أو بعدة قرون؟ ليس صعباً أو مستحيلاً، فإننا إذا رجعنا إلى بداية الدعوة الإسلامية وجدنا أن المسلمين الأوائل حينما خرجوا لنشر الدعوة الإسلامية كانوا متسلحين بسلاح العلم بعقائد الأمم الأخرى وعاداتها وتقاليدها، كانوا يعرفون أرض الدعوة سياسياً واقتصادياً وجغرافياً، ولعلك تسال من أين تحصل على هذه المعرفة، لقد كانوا رجال قريش تجار ولكانت لهم رحلة الشتاء والصيف لم يكونوا يحملون معهم التجارة ويذهبون للبيع والشراء فحسب، بل كانوا على اطلاع بأنظمة الدول الأخرى وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية"²، بمعنى أن الغاية من دراسة الغرب ومعرفته، ليس فقط بهدف الإعجاب أو التقليد، بل لفهم أسباب تقدمه في مجالات متعددة مثل العلوم السياسية والاقتصاد. وهذا ليس غريباً على المسلمين، فالمسلمين الأوائل كانوا على علم بأحوال الأمم الأخرى، وتفاعلوا مع ثقافتهم من منطلق علمي ومعرفي. كون أن الرحلات التي كانت تقوم بها قريش لم تكن للتجارة فقط، بل كانت وسيلة لمعرفة العالم من حولها وهذا ما مكنهم من نشر الدعوة الإسلامية بثقة وفهم.

"أما من الناحية العقائدية فقد عرفوا منها شيئاً في اتصالهم بهذه الشعوب، وجاء القرآن ليوضح لهم حقيقة اعتقادات اليهود والنصارى وغيرهم. ولذلك فإن المسلمين الأوائل لم يجدوا صعوبة في التعرف على الشعوب الأخرى والتفاعل معها وأخذ ما يفيدهم مما لدى الأمم الأخرى من وسائل المدنية، حيث أخذوا الديون والبريد وبعض الصناعات المهمة مثل صناعة الورق التي طورها المسلمون وصناعات إسلامية".³

¹ عبد الرزاق شيخ، الاستشراق والاستغراب وحتمية تأسيس علم الاستغراب في العالم العربي، المرجع السابق، ص 68.

² مازن صلاح مطبقاتي، من آفاق الكلمة متى ينشأ علم الاستغراب، متاح على الرابط: <https://saaid.org>.Saaid.org.

بتاريخ 2025/05/04، على الساعة 11:27.

³ الموقع نفسه.

"وعلى حسب ما سبق عند دراسة الغرب وهو من أجل معرفته ودراسته من جميع النواحي علميا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا على غرار الاستشراق الذي كان هدفه الهيمنة على الشرق وانتهاك له"¹، فنحن عندما بدراسة الغرب بهدف معرفته والتعرف عليه أما الاستشراق فكان العكس تماما، فدراسة الغرب للشرق يهدف السيطرة وتشويه ثقافته واستخدام هذه المعرفة من أجل الهيمنة.

- كيف ندرس الغرب:

"لابد من التخطيط الفعال في هذه القضية إن أردنا أن ننجح حقا في معرفة الغرب والإفادة من المعطيات الإيجابية للحضارة الغربية. ويحتاج هذا الأمر إلى تظافر الجهود والتأسيس الرسمي المتين لذلك، أو لمراكز عديدة في الجامعات العربية والإسلامية تتسق فيما بينها المشاريع لوضع الخطط اللازمة لهذه الدراسات ونشرها. ولكن حتى يتم ذلك لابد من التفكير في الطريقة المثلى لهذه الدراسات"². فهذا يعني أن دراسة الغرب لا يمكن أن تكون مختلطة أو فردية، فلابد أن تكون بطريقة مدروسة ومرتبطة، وذلك وفق مراكز بحثية متخصصة تمتاز بتخطيط فعال داخل الجامعات العربية والإسلامية.

بمعنى آخر أن دراستنا للغرب لا تكون دراسة فردية أو سطحية، فيجب أن تكون هناك مؤسسات ومراكز دعم معا بطريقة منهجية سعيا في دراسة الغرب.

"نجد أن المسلمون اختلفوا في نظرتهم للغرب وحضارتهم. فالبعض قام برفضها، واعتبر أن العزلة هي السبيل الصحيح، باعتبار أن الدين يجب أن يبقى محصور داخل المسجد، في حين أن البعض الآخر رأى أن الغرب مسخر لخدمة المسلمين، فاكتفوا بتخلفهم، وفق تبريرات دينية سطحية متناسين أن الإسلام يدعو إلى العمل والأخذ بالأسباب، في حين نجد البعض انبهر بالحضارة الغربية، فانسلك من هويته وثقافته، فتأثر بأقوال الغربيين وكأنها حقائق مقدسة في حين نجد أن البعض خاف من تأثير الغرب، وهذا راجع إلى اعتبار أن أي انفتاح عليه يعني بالضرورة التخلي عن الدين والاندماج في ثقافته"³.

فنحن نريد دراسة الغرب من خلال مؤسساته وهيئته، وذلك من خلال ما وصلوا إليه من قوة مادية. وذلك في قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"⁴. والأمر الآخر أننا ندرس الغرب وليس لدينا تطلعات استعمارية، باعتبار أن المسلمين ليسوا استعماريين

¹ الشيخ أحمد، من نقد الاستشراق لنقد الاستغراب حوار الاستشراق، ط1، المركز العربي للدراسات الغربية، د. ب، 1999، ص 34.

² أم العلا الحسني، الاستغراب... أنواعه ومشكلاته والدوافع لدراسته <https://al-sabeel.net>.

³ الموقع نفسه.

⁴ سورة الأنفال، الآية 60.

ولكن بهدف حماية مصالحنا ونفهم كيفية عمل الشركات متعددة الجنسيات التي أبدعها الغرب وأصبحت ذات قوى ونفوذ في العديد من الحكومات. والأمر الثالث والذي له أهمية خاصة باعتبار أن هذه الأمة هي أمة الدعوة والشهادة، كون أن الأنبياء والرسل كانوا مكلفين بدعوة أقوامهم فالدعوة الإسلامية إلى العالم الإسلامي، فهي الرسالة التي تكلف المسلمون جميعاً على حملها في قوله تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي".¹

ثانياً: الأهمية من دراسة علم الاستغراب:

"تكمُن أهمية دراسة علم الاستغراب في أنه علم فرضته الأحداث التاريخية الماضية والمؤلمة على الشعوب العربية والإسلامية وغيرها، وهذا راجع إلى ضعفها وتخلفها وتسليم مصيرها للقوى الكبرى، وما مرت به من تدمير للثقافة والفكر والحضارة والتراث الديني والفلسفي والعلم، وسرقه منجزاتها الفكرية والعلمية والأدبية وإرادة الهيمنة التي دفعت الغرب للاستحواذ على الأرض وما تزخر به من ثروات باطنية وظاهرية".² نفهم من خلال هذا ان دراسة علم الاستغراب كان نتيجة للأحداث التي مرت بها الشعوب العربية وغيرها، لكون أنها شعوب ضعيفة ومتخلفة مما أدى هذا إلى فقدان السيطرة على مصيرها، مما تعرضت ثقافتها وحضارتها إلى التدمير، أدى هذا إلى ضياع منجزاتها الفكرية والعلمية والدينية. والدافع وراء هذا هو طمع الغرب في الأراضي والثروات التي تملكها هذه الشعوب بهدف السيطرة واثقاز اقتصادها وشركاتها، من أجل تمكن مصانعها من الإنتاج، وذلك نظراً لحاجتها بمواد الخام. في علم الاستغراب مكننا من الاطلاع كيف ينظر الغرب لنا وكيف يتم استغلالنا من أجل خدمة مصالحه.

"فعلم الاستغراب يكشف لنا طبيعة الرجل والمجتمع الغربي، وكيف كان تفكيره ميالاً للسيطرة واستعمال القوة منذ ظهورها زمن اليونان والرومان والبيزنطيين، ثم مروا بأوروبا قرون الوسطى والحديثة والمعاصرة ولا يكل ولا يمل، من أجل تحقيق رغباته ورفاهيته على حساب الأمم الأخرى"³، هذا يعني أن علم الاستغراب لا يتوقف فقط على دراسة الغرب للشرق، بل يمكننا من فهم ومعرفة طبيعة الإنسان والمجتمع العربي. فهو يبين لنا كيف كان هذا المجتمع معرض للتسلط والسيطرة منذ العصور القديمة مروراً إلى العصور الوسطى، وحتى العصر الحديث والمعاصر. كما يكشف لنا درجة تأثيره بالقوى الكبرى، فإن هذا العلم جاء لتتوير

¹ سورة يوسف، الآية 108.

² عمارة نصيرة، الاستغراب: مفهومه، خلفياته، أهدافه وأهميته، مجلة المنهل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد 09،

العدد 02، 2023، ص 114.

³ المرجع نفسه، ص 114.

الإنسان العربي بطبيعة هذه العلاقات غير متكافئة، ليعي ثقافته وهويته، ولا يسمح باستغلاله وتطبيق رغبات ومصالح الآخرين على حسابه.

"فحقيقة أن منطق القوة والعنف والسيطرة لم تكن وليدة فترة، بل نشاط فكري وإيديولوجي وعسكري وسياسي عبر مسيرته التاريخية، ساهم فيها الفلاسفة والأدباء والشعراء ورجال الدين الغوغائيون ومن عامة شعوب أوروبا".¹ هذا يعني أن القوة والعنف والسيطرة لم تكن عبارة عن أفكار عابرة لها ظهور مفاجئ في التاريخ، بل كانت نتاجا لتطور طويل عبر العصور، فنجد أن هذه المفاهيم تشكلت وتطورت تدريجيا وذلك وفق العديد من الأنشطة، وساهم في ذلك كل من الفلاسفة والأدباء، والشعراء، ورجال الدين والغوغائيون.

"لذا فالضرورة التاريخية واللحظة الزمنية الآتية تفرض علينا أن لا نبقي مكتوفي الأيدي اتجاه هذا التدمير والسرقة لكل منجز حضاري لدى الآخر، وذلك للحفاظ على مقومات وجودنا، وهي التراث والدين والتاريخ والهوية، لتبقى مسيرة الأمم مستمرة، وفي نفس الوقت لعلها تلتقط اللحظة الفارقة بجد ومثابرة، لتدخل التاريخ بوجه حضاري مشرق يرفع العنت عن شعوب الأرض المغلوبة والضعيفة".² فلا بد أن نكون واعيين وملتزمين لهويتنا، لأنه إذا لم نحمي هويتنا، فسيكتب التاريخ غيرنا، لذا وجب علينا الانتباه لواقع الهيمنة الثقافية والتاريخية، والعمل على حماية الذات الحضارية واستعادة مكانتها في التاريخ.

"فمن هنا بدأت ارهاصات علم "الاستغراب" مما أصبح الكثير يتحدث عن إمكانية إنشاء هذا العلم بل ضرورة ذلك حتى يساعدنا على الخروج من نطاق التبعية الثقافية للغرب".³ ومن هنا بدأت الدعوة إلى ضرورة قيام علم الاستغراب الذي من خلاله نتمكن من الخروج من تبعية الغرب. "لتدخل التاريخ بوجه حضاري مشرق يرفع العنت عن شعوب الأرض المغلوبة والضعيفة، وينال الإنسان حريته واستقلاله الحقيقي، ليستطيع التفكير بطلاقة دون قيد أو شرط، ودون سلب لإرادته في الحركة، أي كانت نوعية تلك الحركة".⁴ فلا بد من قيام وعي حضار حقيقي تقوده الشعوب نحو التغيير، والتخلص من الضعف والظلم بحيث يمنح الإنسان حريته الكاملة في الفكر والحركة، دون تقييد بتاريخ أمته.

¹ عمارة نصيرة، الاستغراب: مفهومه، خلفياته، أهدافه وأهميته، المرجع السابق، ص 114.

² المرجع نفسه، ص 114.

³ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 62.

⁴ عمارة نصيرة، الاستغراب: مفهومه، خلفياته، أهدافه وأهميته، مرجع سابق، ص 114.

"فالحمول والتوقف هو الذي سبب للعرب والمسلمين هذا الهزال، الذي جعلهم ألعوبة لدى القوى العظمى، لكن تلك اللحظة الفارقة لا تأتي من خارجنا، فقد يكون الخارج بجراحه التي سببها لنا معين على الانطلاق، أما الانطلاقة الحقيقية هي عدم الرضوخ للعبودية والسكون".¹

وهذا راجع إلى كون أن العرب كانوا في ركود ثقافي وحضاري، الذي جعلهم تحت سيطرة ونفوذ القوى العظمى، فلا بد من التخلص من هذه القيود من قيام حضارة وثقافة مستقلة بذاتها.

"إن الاستغراب ليس تغريباً أو اغتراباً ولا متابعة للغير والمحاولة لمعرفة الغرب من الداخل معرفة علمية موضوعية موثقة، فهو دراسة مكثفة لا تقبل بالتطبيق العشوائي غير المدروس، وآليات هذا العلم قائمة ومتوفرة من خلال العقلية المهاجرة التي هضمت الغرب واستوعبته، وبسند المصالح وما يكفيه من المخاطر والعقبات".² فالاستغراب عبارة عن جهد علمي مدروس جاء من أجل فهم الغرب من الداخل، دون الخضوع إلى التبعية والتقليد، فهو عبارة عن محاولة موضوعية لتحليل الواقع الغربي وفهم آلياته الحضارية والثقافية وفق منهج موثق، مدعوم بتوجيه كبار علماء المسلمين الذين خاضوا هذا الميدان بعين ناقدة، فتمكنوا من معرفة منافع التي يمكن الاستفادة منها، وفي مقابل مخاطر وجب علينا الحذر منها.

ثالثاً: طبيعة الاستغراب عند حسن حنفي:

يؤكد حسن حنفي أن علم الاستغراب هو جزء من مشروع أوسع يُعرف بـ التراث والتجديد، حيث يُشكل الاستغراب الجبهة الثانية لهذا المشروع، ويُعد استكمالاً لحركة التحرر العربي الثقافي. كما أنه يرتبط باللمحة الحضارية الراهنة، التي يجد المفكر نفسه محاصراً فيها بين ثلاثة حوائط لا يستطيع الفكاك منها، في إشارة إلى التحديات الفكرية والحضارية التي يواجهها العالم العربي في علاقته مع التراث من جهة، والحدثة من جهة أخرى، والاستعمار الثقافي من جهة ثالثة.

الحائط الأول أو الجبهة الأولى:

يرى حسن حنفي أن التراث القديم نشأ في عصر الفتوحات، بينما هو يعيش في عصر الانكسارات، مما يجعله في حالة اغتراب بين روحه وعقله المرتبطين بالماضي، وجسده الذي يعيش في الحاضر. ونتيجة لهذا التباعد، لم تعد الثقافة التقليدية تعبر عنه، سواء في الفقه أو علم الكلام أو التصوف، مما يستدعي إعادة بناء التراث ليصبح متلائماً مع العصر الحديث، بدلاً من أن يبقى مجرد إرث من زمن الانتصارات يُدرّس في عصر الهزائم.

¹ عمارة نصيرة، الاستغراب: مفهومه، خلفياته، أهدافه وأهميته، مرجع سابق، ص 115.

² حسن بن محمد علي البارقي، البعد الديني في الاستغراب المعاصر، مرجع سابق، ص 159.

وبمجرد التحرر من تقليد القدماء، يأتي دور علم الاستغراب ليكمل حركة التحرر الفكري، بحيث لا يقع في فخ تقليد المحدثين أيضًا. فهدفه ليس استبدال هيمنة قديمة بهيمنة جديدة، بل بناء وعي مستقل قادر على إعادة تشكيل الثقافة بما يتناسب مع واقعه الحضاري.¹

الجهة الثانية: تقليد المحدثين

يرى حسن حنفي أن التحرر من تقليد القدماء لا يعني الوقوع في تبعية المحدثين، لأن ذلك لا يحدث تغييرًا حقيقيًا، بل يبقى تقليدًا في جوهره، مع اختلاف المرجعية التي يُستند إليها. فالتقليد، سواء كان للتراث القديم أو للفكر الحديث، يظل تحجرًا فكريًا يمنع الإبداع والتجديد. ومن هذا المنطلق، لا يوجد فرق جوهري بين السلفي والعلماني إذا كان كلاهما مجرد مُقلد، لأن المسألة ليست في المرجعية التي يتبعانها، بل في قدرتهما على التفكير النقدي المستقل والخروج من أسر الجمود الفكري.²

بالفعل، يهدف علم الاستغراب إلى استكمال حركة التحرر الفكري، بحيث لا يكون مجرد تقليد للغرب، بل عملية نقدية تتيح التعلم والدراسة والرؤية العميقة لفهم الآخر بطرق مستقلة. ويعني ذلك ألا نقبل الغرب كمرجعية وحيدة للمعرفة، بل أن نستخدمه مصدرًا للفهم دون الوقوع في التبعية الفكرية. بهذا الشكل، يكون الاستغراب أداة لتحرير العقل العربي من الهيمنة الثقافية الغربية، ومنح القدرة على إعادة بناء الثقافة بما يتناسب مع الهوية الحضارية الخاصة، مع الأخذ في الاعتبار تطور العصر الحديث.

الجهة الثالثة والأخيرة:

يعبر حسن حنفي عن رفضه لأن يقتصر على الجهة الأولى التي تتعامل مع النصوص القديمة، أو الجهة الثانية التي تركز على النصوص الحديثة. هو يسعى إلى الانتقال إلى الجهة الثالثة، حيث لا يكفي فقط بتفسير النصوص أو ترجمة الأفكار الغربية، بل يسعى إلى إبداع نصوص جديدة تعبر عن الواقع الذي يعيش فيه. فكما قال جاك بورك: "علينا أن نعيش مع النص"، وكذلك كما ورد في قول محمود درويش: "وأحتمي أبوك بالنصوص فدخل اللصوص"، فإن حنفي يرفض أن يظل محاصرًا في نصوص الماضي أو تقليد الغرب، بل يريد أن يغوص في الواقع ذاته، ويعكف على تحليله وفهمه مباشرة.

¹ حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 5.

² المصدر نفسه، ص 5.

ويطرح العديد من التساؤلات النقدية مثل: "ماذا يعني الاستعمار؟ ماذا يعني التخلف؟" لا يقتصر عمله هنا على إعادة تأويل النصوص القديمة أو ترجمة النصوص الحديثة، بل يهدف إلى إثراء المعرفة من خلال إبداع نصوص جديدة تساهم في تشكيل وعي حضاري جديد.¹

بالفعل، علم الاستغراب هو جزء من كل، والجهة الثانية التي تأتي بعد الجهة الأولى، حيث يمكن من خلالها فتح حوار الثقافات وحوار الأديان، لأن الغرب أصبح الآخر بالنسبة للشرق في العصر الراهن. ويُعرّف حسن حنفي الاستغراب بأنه الوجه الآخر والمقابل لـ الاستشراق. فإذا كان الاستشراق يعني رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب)، وكان دراسة الحضارة الإسلامية من منظور باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى، فإن الاستغراب هو العلم الذي يقابل هذا التوجه. في الاستغراب، تتقلب الموازين وتبدل الأدوار بين الأنا والآخر، حيث تصبح الأنا (الشرق) ذات دراسة بعد أن كانت موضوع دراسة في الاستشراق، ويصبح الآخر (الغرب) موضوع دراسة بعد أن كان ذات دراسة. وبالتالي، يصبح الاستغراب دراسة الغرب من منظور شرقي. وقد ورد هذا المفهوم قبل حسن حنفي على يد بعض المفكرين الذين سبقوه.²

إن حسن حنفي هو الذي قدم التوسيع والشرح الواضح لمفهوم الاستغراب، مما جعله يُفهم بالشكل الذي هو عليه اليوم، وهو ما لم يكن واضحاً عند المفكرين الذين سبقوه. ولذلك، فإن شيوع الاستغراب بالمعنى الذي يتم تداوله اليوم يُعزى إلى حنفي، وقد أقر بذلك العديد من الباحثين.

من خلال مشروعه الفكري، حاول حسن حنفي تأسيس فكر جديد وعقلانية جديدة، حيث قلب الموازين بتغيير العلاقة بين الأنا والآخر. فبدلاً من أن يكون الآخر هو الذي يدرس، أصبح الآخر موضوع دراسة، في حين أن الذات (الشرق) أصبحت هي الدارس. هذا الانقلاب في العلاقة بين الأنا والآخر يسهم في أغراض نبيلة، منها إثبات الوجود الذاتي في مواجهة وجود الآخر، مما يساعد على فهم الواقع والتطلع نحو بناء مستقبل أفضل.

يعود مصطلح الاستغراب إلى حسن حنفي من خلال كتابه "مقدمة في علم الاستغراب" الذي صدر في أواخر عام 1990م. جاء هذا الكتاب ليكمل مشروعه الثقافي الذي بدأه في أوائل الثمانينات تحت عنوان "التراث والتجديد". إذا كان كتابه السابق "من العقيدة إلى الثورة" هو البيان النظري الأول لموقفه من التراث القديم، فإن كتاب "مقدمة في علم الاستغراب" يُعد بياناً نظرياً للجهة الثانية في مشروعه الثقافي.³

¹ حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب، مصدر نفسه، ص 5.

² حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 23-24.

³ المصدر نفسه، ص 62.

ويقول حسن حنفي في هذا الصدد: "إرهاصات علم الاستغراب في جيلنا قد ظهرت، وتحدث الكثير منا عن إمكانية إنشاء هذا العلم وضرورة ذلك لتساعدنا على الخروج من نطاق التبعية الثقافية. ولكن الغالب على هذه الإرهاصات أنها كانت مجرد نوايا نعلنها دون أن تتحول إلى علم دقيق¹.

فهنا نجد حسن حنفي يوجه نقدا ذاتيا، رغم أهمية علم الاستغراب إلا أن ما تم حتى الآن، هو عبارة عن كلام تنظيري فقط، لم يصل إلى مستوى علمي واضح، حيث يدعو إلى ضرورة الانتقال من مرحلة النظري إلى التطبيقي.

ومع ذلك، فإن صدور "مقدمة في علم الاستغراب" في هذه اللحظة يشير إلى أن تلك النوايا قد تم تجاوزها، وأن الإرهاصات الأولى قد تحولت بالفعل إلى علم دقيق، وأن هذه المقدمة تمثل المحاولة الأولى لتأسيس هذا العلم".²

هذا يعكس تحولاً من الفكر النظري إلى العمل العلمي الجاد في محاولة لإيجاد إطار فكري جديد يخرج الفكر العربي من التبعية الثقافية ويؤسس لعلم نقدي قائم على فهم الآخر من منظور شرقي.³ يفهم من خلال قول حسن حنفي أن الاستغراب ليس مجرد تفاعل مع الفكر الغربي، بل هو تعبير عن إرهاصات فكرية تهدف إلى التحرر من التبعية الثقافية للغرب. هذه الإرهاصات تسعى إلى تجاوز القديم والانتقال إلى الجديد عبر تحويل الأفكار الأولى إلى علم دقيق ومنهج علمي، مما يعكس المحاولة الأولى لتأسيس علم الاستغراب كأداة نقدية ومنهجية تساعد في فهم الغرب من منظور شرقي. هذه الإرهاصات كانت نتيجة جهود مجموعة من المثقفين الذين سعى كل منهم إلى إعطاء أحكام ومعايير تساعد في توجيه البحث العلمي وتحقيق هذا الهدف.

وفيما يتعلق بموقفه من التراث الغربي، فقد أعرب حسن حنفي عن رغبته في تحديد الأصول والكليات في الفكر الغربي دون الانشغال بالتفاصيل أو الجزئيات. وفسر ذلك في كتابه "مقدمة في علم الاستغراب" حيث قال: "كان هم قصر العمر هو الذي دفعني إلى الاكتفاء بالكليات تاركاً الجزئيات لأجيال أخرى. قمْتُ بوضع أحد المعالم وتحديد الأسس، لكن البناء يجب أن يُترك للآخرين."

هذا التصريح يعكس توجه حنفي إلى التعامل مع الأسس العامة للفكر الغربي وأصوله بشكل يتناسب مع الفترة الزمنية التي يعيش فيها، تاركاً التفاصيل الدقيقة للأجيال القادمة لكي تكمل بناء الفكر النقدي حول

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 62.

² المصدر نفسه، ص 235.

³ المصدر نفسه، ص 62.

الغرب.¹ معنى هذا أن حنفي اهتم بالكليات التي تحدد الفكر الغربي أصوله تاركا الجزئيات من أجل فهم المعالم والأسس لأجيال قادمة.

لقد أعطى حسن حنفي أهمية كبيرة لعلم الاستغراب في الجبهة الثانية من مشروعه الحضاري الذي تمثل في "التراث والتجديد". هذا العلم يمثل محاولة مقاومة طغيان الاستشراق الذي استبد بنهج فكري يعبر عن الوعي الأوروبي والغربي. ففي نظر حنفي، الاستشراق لم يكن مجرد دراسة للحضارة الإسلامية من قبل باحثين غربيين، بل كان ممارسة فكرية مشوّهة تهدف إلى فرض فهم خاص للحضارة الإسلامية والعربية من خلال منهجيات لا تنتمي إلى الواقع العربي ولا تعكس الوعي الشرقي.²

يُعبّر حنفي عن هذا الاستشراق على أنه منهج تحليل عاجز وغير قادر على التطور، بل هو نقيض المذهب التطوري في الفكر الغربي، حيث كان يُصوّر الحضارة العربية والإسلامية كحالة ثابتة ومتخلفة مقارنة بالحضارات الغربية التي كانت تعتبر "المركز" وقمة التطور.

من خلال هذا، تبرز أسطورة المركزية الغربية التي تدعي أن الغرب هو المعيار، بينما الشرق يمثل السامي المعاق الذي لا يمكنه أن يتطور. وفي هذا الإطار، تتدفق أساطير أخرى تحاول رسم الصورة السلبية للشرق، باعتباره النقيض الكامل للغرب وضحيته الخاصة.

بذلك، كان الاستغراب في نظر حنفي بمثابة أداة نقدية لإعادة الوعي الشرقي إلى نفسه بعيداً عن الهيمنة الغربية والاستلاب الثقافي الذي فرضه الاستشراق.³

إن ظهور الاستشراق في سياق إيديولوجية مركزية غربية يسعى إلى تعظيم الغرب على حساب الشرق، مما يعزز من عظمة الغرب ويقلل من قيمة العرب وحضارتهم. من خلال هذه النظرة، يتم تحييد الثقافات المختلفة وتشويهها وفقاً لأهداف غير معلنة تساهم في إدامة الهيمنة الغربية.

في المقابل، يرى حسن حنفي أن علم الاستغراب هو علم موضوعي يسعى إلى معرفة الآخر (الغرب) من خلال الأنا (الشرق)، في نزاهة وحياد وموضوعية تامة، دون الانحياز أو التشويه الذي وقع فيه الاستشراق. إذ يعرض الاستغراب منهجاً علمياً صادقاً يهدف إلى دراسة الغرب بعيداً عن التحيزات المسبقة. هذه الدراسة الصادقة تستند إلى تحليل الواقع مباشرة عبر وعي الباحث وأصالته، مما يمنحه القدرة على

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 62.

² إدوارد سعيد، الاستشراق، ط1، مؤسسة الأبحاث العبرية، لبنان، 1981، ص 305.

³ المصدر نفسه، ص 305.

تقديم نظرة علمية متحررة من الأخطار الذاتية والانتقام. وهكذا، يُمكنه إعطاء رؤية دقيقة تستند إلى الحقيقة ولا تتأثر بالأيديولوجيات المهيمنة.

من خلال هذا، علم الاستغراب بالنسبة لحسن حنفي هو الجبهة الثانية في مشروعه الفكري، حيث يحول الغرب من كونه الموضوع المدروس إلى موضع الدراسة. فبدلاً من أن يكون الغرب هو المدروس، يصبح الغرب هو الذي يُدرّس من منظور شرقي محايد.

يسعى حسن حنفي من خلال علم الاستغراب إلى تحرير المسلمين من تقليد الغرب والشعور بالنقص تجاهه، وكذلك إلى تحرير الغرب نفسه من عقدة العظمة التي يشعر بها تجاه الشعوب الأخرى. هذا العلم يحاول إثبات أن الثقافة الغربية، رغم تأثيرها الكبير، هي ثقافة تاريخية، مثل باقي الثقافات، ولها مصادر وتطور ونهاية. إنها ليست أبدية ولا ثابتة، بل مرت بمراحل تطور وتاريخها كان دائماً في تفاعل وصراع مع الثقافة الإسلامية.

إنّ، علم الاستغراب يعمل على إعادة تصحيح الرؤية تجاه الغرب، ويؤكد على أن الغرب ليس النموذج النهائي الذي يجب أن يُحتذى به، بل هو مجرد جزء من التاريخ الثقافي والإنساني الذي يواجه ثقافات أخرى.

رابعاً: أهدافه:

- سعى حسن حنفي من خلال مشروع الاستغراب إلى تحقيق مجموعة من الأهداف والرؤى التي تهدف إلى إحياء حلم كل عربي وشرقي مؤمن بالعلم وبالشفغ، بالثقافة والمعرفة، بهدف النهوض وتحقيق التقدم والتطور. فنجد الأهداف والغايات تعددت واختلفت عند حسن حنفي ويمكن تلخيص ذلك في بعض النقاط:
- سعى حسن حنفي إلى تغيير دراسة شكل العلاقة بين الشرق والغرب وذلك بجعل الغرب موضوع مدروس.
- دعا حسن حنفي إلى التحرر الحضاري، كون أن الأنا لها القدرة بالقيام بتجربة فريدة في تاريخ الإنسانية، وذلك بنضالها للتحرر من الاستعمار. وقد نجحت في قلب موازين القوى في العالم، وأصبحت لها مركزها تؤثر به على العالم، سعياً إلى تجنب الحرب وبناء مجتمعات تقوم على العدالة والتعاون.
- "السيطرة على الوعي الأوروبي أي احتواء بداية ونهاية، نشأة وتكوين"¹، بمعنى دراسة الغرب كما درسنا، لكن دون تقليده بل من أجل فهمه وتجاوزه، بهدف تحقيق معرفة خاصة بنا.

¹ محمد سالم سعد الله، نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة الفتوحات، العدد الأول، كلية الآداب، جامعة الموصل العراق، جانفي 2015، ص 54.

أراد حسن حنفي أن يدرس الوعي الأوروبي على أنه تاريخ وليس خارج عن التاريخ، وذلك بإرجاع العرب إلى حدوده الطبيعية وبالتالي إنهاء الغرور الثقافي ومن هنا القضاء على أسطورة الثقافة العالمية واكتشاف خصوصية الشعوب.

"يهدف علم الاستغراب إلى قيام ثورات حديثة من عثراتها، واستكمال عصر التحرر من الاستعمار، والانتقال من عصر التحرر من الاستعمار، والانتقال من التحرر العسكري إلى الاقتصادي والسياسي والثقافي، وقبل كل شيء التحرر الحضاري. فطالما أن الغرب ساكن في قلب كل منا كمصدر للمعرفة، وكإطار مرجعي يحال إليه كل شيء للفهم والتقييم فسنظل قاصرين في حاجة إلى أوصياء"¹. بمعنى أن علم الاستغراب هو السبيل الوحيد للتحرر من كل أنواع التبعية الغربية، سواء من الجانب الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي.

كوننا نرى بأن الغرب هو السبيل الوحيد للفهم والمعرفة، باعتباره المرجع الذي نعتمد عليه لمقارنته بنا، هذا يجعلنا أقل منه. فالتحرر الحقيقي يبدأ بثقتنا في أنفسنا وننظر للعالم بنظرتنا الخاصة من خلال قيمنا وتجاربنا، لا من خلال عيون الغرب.

- "كما نجد أيضا أن علم الاستغراب سعى إلى مواجهة التغريب، وهذا ما كان يقلق حنفي هو انتشار ظاهرة التغريب التي يمتد أثرها إلى أساليب الحياة اليومية من نقاء اللغة ومظاهر الحياة وفن العمارة فكل كلمة عربية تتجاوز عقدة نقصها بإلحاقها بكلمة غربية، وهذا ما جعل مدننا عبارة عن خليط، ونتج عنه غياب الزي الوطني"².

- "التخفيف من عقدة النقص التي كونتها الحضارة الغربية، وأن يتخفف الغرب من عقدة العظمة التي رباها في نفسه، يكفينا العيش على معونات سلاحا وغذاء ومناصرة في المحافل الدولية، ربي في نفسه عقدة العظمة ونحن تكونت فينا عقدة النقص، فربما علم الاستغراب يساعدنا في التعامل مع الغرب ندا بند"³. بمعنى أن علم الاستغراب جاء بهدف التخلص من عقدة النقص التي غرسها فينا الغرب وموجهته ندا بند.

- "كذلك تصحيح المفاهيم المستقرة في الذاكرة المركزية الأوروبية من أجل إعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادا وأكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ

¹ حسن حنفي، الاستغراب في مواجهة التغريب، العدد الأول، 1436هـ/2015م، 20 سبتمبر 2015.

² جمعة صباح، الاستغراب وأهدافه عند حسن حنفي، مجلة المعيار، مجلد 26، العدد 04.

³ منال صالح حسين معسكر، الاستغراب، مجلة الدراسات العربية، ص 524.

العالم".¹ فنجد أن التاريخ الذي كتبه الغرب كان وجهة نظره فقط، فنجد وجه اهتمامه بالإنجازات التي قامت بها أوروبا وتجاهل الحضارات الأخرى بما في ذلك الإسلامية والهندية، والصينية. فدعا حسن حنفي إلى تصحيح هذه النظرة وإعادة كتابة التاريخ بشكل عادي، وذلك من خلال إظهار الدور الذي تلعبه كل حضارة من أجل تحقيق تقدم البشرية، لهذا نجد "يهدف" علم الاستغراب "إلى إنهاء أسطورة كون الغرب ممثلاً للإنسانية جمعاء، وأوروبا مركز الثقل فيه. تاريخ العالم هو تاريخ الغرب، وتاريخ الإنسانية هو تاريخ الغرب، وتاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلسفة الغربية. في الغرب يصب كل شيء".²

- يدعو إلى تحقيق السلم والمساواة، من أجل التخلص من العدوانية والحساسية بين الشعوب ويظهر ذلك في "وقد يسهم علم الاستغراب في القضاء على داء العنصرية الذي نشأ نتيجة للوعي الأوروبي، وبالتالي قد تختفي عدوانية الشعوب لبعضها".³ ويؤيد محمد التيرب أحد الباحثين العرب المهتمين بالغرب هذا التوجه بقوله: "أنا لا أريد أن يكون الاستغراب مثل مكان الاستشراق، بل أريد أن يكون أرقى في التفكير، وأنبل في الأهداف، فوجب أن تكون هدف الاستغراب هو إعطاء القارئ العربي معرفة أفضل وأدق بالبلدان الغربية ودرجة تطورها. فلا بد أن يكون الاستغراب مختلفاً ومتميزاً عن الاستشراق. واعتقد أنهم في الغرب سيرحبون كثيراً بهذا المشروع لأنهم سيستفيدون منه أكثر مما استفادوا من الاستشراق".⁴

يريد من هذا أن يكون الاستغراب ليس مجرد رد فعل على الاستشراق، بل يكون أسلوب ذات رقي واحترام في الثقافة العربية، فالهدف من هذا المشروع مساعدة الغرب على فهم المجتمعات العربية وتطورها بشكل أعمق. فالاستغراب هنا ليس بهدف النقد أو المواجهة بل يهدف إلى بناء جسر من الفهم المتبادل، وتقديم العرب وثقافتهم بصورة حقيقية.

- "إنشاء إيديولوجيات العالم الثالث في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية مثل الزنجية والوجدانية والوحدة الإسلامية والقومية العربية، إذا قامت العديد من حركات التحرر والثورة بوضع أسس لها تتمثل في الاشتراكية الطبيعية المستقلة أن تقوم على الملكية الجماعية للأرض وتحويل بعض هذه التقاليد والأعراف إلى إيديولوجيات أخرى كالوجدانية والزنجية".⁵ هذا يعني أن هناك ثلاث توجهات فكرية كبرى في كل

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 40.

² المصدر نفسه، ص 42

³ محمد سالم سعد الله، نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 55.

⁴ علي إبراهيم النملة: الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب، كتاب المجلة العربية، المملكة العربية السعودية، ص 23.

⁵ عبد الرزاق شيخ، الاستشراق والاستغراب وحتمية تأسيس علم الاستغراب في العالم العربي، مرجع سابق، ص 69.

من إفريقيا وآسيا والمملكة المتحدة ألا وهي الزنجية، الوجدانية، الوحدة الإسلامية، إضافة إلى ذلك القومية العربية.

وتعتبر هذه الاتجاهات هي الأساس الفكري للعديد من حركات التحرر والثورة في تلك المناطق فهي عبارة عن شراكة طبيعية ومستقلة في مواجهة أنظمة التملك الجماعي عالميا. وهذه الحركات تستند على التقاليد الموجودة لدى الشعوب، بما فيها العرب، والتيارات الزنجية والوجدانية، التي تسعى إلى تحقيق الاستقلال الذاتي من أجل التخلص من التبعية مع المحافظة على الهوية الثقافية والروحية.

- "نقل النظام الجديد من مستوى النيات الحسنة إلى مستوى العلم الدقيق، ومن مستوى الخطابة السياسية إلى مستوى التحليل والتفسير العلمي، إذا يحتاج ذلك إلى أجيال عصر النهضة العربية التي يتم فيها التحول من القديم إلى الجديد والمعاصر".¹ بمعنى نحن اليوم بحاجة إلى الانتقال في تفكيرنا وتعاملنا مع القضايا الكبرى إلى شيء أعمق وأكثر دقة مثال ذلك التحليل العلمي والفهم العقلاني، فلا بد من البدء في فهم واقعنا وتحليل مشكلاتنا وذلك باستخدام العلم والمنهجية، كوننا بحاجة إلى نهضة حقيقية، كما حدث في عصر النهضة عند الأمم الأخرى، حيث تحولوا من الخرافة والسطحية إلى التقدم والمعرفة.

- ينظر حسن حنفي إلى أن علم الاستغراب هو الوحيد القادر على استرجاع الوعي الضائع بالأنا في ظل حضارة الآخر. "إن مهمة هذا العلم الجديد هو إعادة الشعور الأوروبي إلى وضعه الطبيعي والقضاء على اغترابه وإعادة ربطه بجذوره القديمة، وإعادة توجيهه إلى واقعه الخاص من أجل التحليل المباشر له، وأخذ موقف بالنسبة لهذه الحضارة التي يظنها الجميع مصدر كل علم، وهي في الحقيقة حضارة غازية لحضارة أخرى ناشئة نشأة ثانية أو تعيش إحيائها ونهضتها".²

- كما يهدف أيضا إلى تطوير الإنتاج المعرفي الإسلامي، من خلال إعادة توظيف الإنتاج الفكري الغربي المناسب.

- المساهمة في تصحيح مسار الفكر الغربي من خلال التلاقح الفكري.

- إعادة تقييم عملية استيراد الإنتاج المعرفي الغربي في المعرفة الإسلامية.

- تمكين المسلم من الاطلاع على الحضارة الغربية، واسقاط الحواجز المعرفية التي تحول بين الحضارتين (الإسلامية والغربية).

¹ عبد الرزاق شيخ، الاستشراق والاستغراب وحتمية تأسيس علم الاستغراب في العالم العربي، مرجع سابق، ص 69.

² جمعة صباح، الاستغراب وأهدافه عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 111.

- نقل التعاطي مع الغرب من حالة المثاقفة العفوية والعشوائية والسطحية إلى حالة المثاقفة المنظمة والعميقة.¹

- "التعرف على المناهج والسياسات التي اعتمدها الغرب حيال الشرق والمجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص، وذلك بقصد جلاء كثير من الحقائق وتبديد مثلها من الأوهام التي استلحت التفكير العربي والإسلامي لوقت طويل".² بمعنى لكي نفهم واقعنا بشكل واضح وصحيح فلا بد من معرفة كيف كان ينظر إلينا الغرب وكيف يتعامل معنا، لأن هذا الفهم سيساعدنا على تصحيح المفاهيم الخاطئة وبيان الصورة الحقيقية لنا ولتاريخنا.

- "دراسة الغرب ينبغي أن لا تترك للصدف أو تتم عشوائيا، بل لابد أن تكون قرارا واعيا ومقصودا من قبل الدول العربية... ويجب أن يشمل هذا القرار إنشاء وتجهيز مراكز ومعاهد ومكتبات للدراسات الغربية، وأن يتم تكوين جيل جديد من المستغربين العرب، كي يساهم في دراسة المجتمعات والتاريخ والثقافات الغربية، لقد حان الوقت لذلك".³ فلا بد من ضرورة دراسة الدول العربية للغرب أن تكون منظمة ومخطط لها، وليس بشكل عشوائي. بمعنى آخر، وجب أن يكون هناك قرار واضح ومعتمد من قبل الحكومات والمؤسسات العربية لتتمكن من فهم الغرب. في جميع جوانبه تاريخية، ثقافية، ودراسة مجتمعاته وتطوراتها.

- "أن تشهد الإنسانية عصرا جديدا يختفي منه داء العنصرية الدفين حتى أصبح جزء من بنيته وبالتالي تختفي عدوانية الشعوب على بعضها البعض وقد ورثت الصهيونية هذا الداء الدفين نريد تغيير جذري في الوعي الإنساني إذ يرى الوعي الأوروبي حدوده كما يرى الوعي اللأوروبي إمكاناته فعمل منهما يصل إلى منتصف الطريق لخلق وعي إنسان جديد".⁴ بمعنى الدعوة إلى تخلي البشرية على العنصرية، هذا لا يعني أنها تجاهلتها، بل لأنها فهمتها ودمجتها ضمن وعيها.

يمكن القول أن علم الاستغراب عبارة عن مشروع فكري تأسس من أجل إعادة التوازن المعرفي بين الشرق والغرب. نشأ هذا العلم كرد فعل على مشروع الاستشراق وهذا الأخير كان من قبل الغرب فتمت ممارسته منذ القرون الوسطى. فكانت بداية دراسته الأولى نحو الإسلام من منظور استعمار ثقافي، وفكري

¹ نايف بن نهار، نحو منهجية مقترحة لعلم الاستغراب، علم الاستغراب، د. مجلد، العدد الأول، مجلة علمية محكمة تصدر سنويا عن مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، ربيع 1438هـ/2017م، قطر، ص 18.

² محمد حيدر، لماذا الاستغراب؟، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية (مكتب بيروت)، العدد 01، 1436هـ/2015م.

³ علي بن إبراهيم النملة، خاتمة كتاب الاستغراب، النهج في فهمنا الغرب.

⁴ منال صالح حسن عسكر، الاستغراب، مرجع سابق، ص 524.

فعمل على تشويهه وتحريفه وهذا ما دفع المفكر المصري الدكتور حسن حنفي نقل مركز الاهتمام من الغرب إلى الذات وذلك بتحويل الغرب إلى ذات دراسة بعد ما كانت عبارة عن موضوع للدراسة.

خلاصة:

يُبرز هذا الفصل الأسس التي انبنى عليها مشروع علم الاستغراب، بوصفه محاولة فكرية لاستعادة التوازن المعرفي بين الشرق والغرب، من خلال تفكيك المنظومة الفكرية الغربية التي طالما فرضت ذاتها بوصفها مركزاً للحضارة. ويظهر التصور الذي قدمه حسن حنفي لعلم الاستغراب باعتباره مشروعاً مزدوجاً، يقوم من جهة على نقد الغرب وكشف أبعاده الأيديولوجية والثقافية، ومن جهة أخرى على تحرير العقل العربي من عقدة التبعية والانبهار. فلا يقف الاستغراب عند حدود الرفض أو القطيعة، بل يسعى إلى بناء وعي حضاري جديد يتعامل مع الغرب بنديّة، ويعيد تشكيل العلاقة بين الذات والآخر على أساس الحوار والتكافؤ. ومن هنا، تتحدد أهداف هذا العلم في نقد المركزية الغربية، وإعادة بناء الهوية الثقافية، وتأسيس معرفة قادرة على مواجهة التحديات الفكرية والحضارية المعاصرة.

**الفصل الثاني: الرؤية
التجديدية للتراث عند حسن
حنفي ودور مشروع
الاستغراب في النصوص**

استغراب في النصوص

تمهيد:

يُعدّ المفكر المصري حسن حنفي من أبرز رموز الفكر العربي المعاصر الذين سعوا إلى تجديد العلاقة مع التراث الإسلامي، عبر قراءة نقدية واعية توازن بين الأصالة والمعاصرة. لم يكن التراث عنده مجرد ماضٍ يجب استعادته، بل هو مادة حيّة يجب تفعيلها في الحاضر لخدمة قضايا النهضة. ومن هذا المنطلق، أسّس مشروعًا فكريًا شاملاً يُعرف بـ "التراث والتجديد"، حاول من خلاله معالجة أزمة الفكر العربي والإسلامي من جذورها.

ولم يتوقف حنفي عند نقد الذات، بل تجاوز ذلك إلى نقد الآخر الغربي عبر مشروعه المسمّى "الاستغراب"، الذي أراد به قلب معادلة الاستشراق من موقع التابع إلى موقع الفاعل، من خلال قراءة نقدية للغرب من منظور حضاري إسلامي. هذا المشروع لا ينفصل عن رؤيته للتجديد، بل يُشكّل أحد أركانها الأساسية، بوصفه شرطًا ضروريًا لاستعادة الوعي والتمكين الحضاري.

أولاً: الرؤية التجديدية للتراث:

1. مفهوم التراث والتجديد:

أ. معنى التراث:

- لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور: ابن الأعرابي: الورث والورث والإرث والوارث والإراث، والتراث واحد. وقال ابن الجوهري الميراث أصله، مِزَوات، وانقلبت الواو باء لكسر ما قبلها، والتراث أصل التاء فيه واو، ابن سيده: والورث والإرث والتراث والميراث: ما وردت: وقيل: الورث والميراث في المال والإرث في الحساب.¹

ويقول الراغب الأصفهاني: "الوراثة والإرث انتقال فنية إليك عن غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد، وسمى بذلك المنتقل عن الميت... ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب قد ورث كذا، ويقال لمن خول شيئاً مُهنئاً: أُوْرِثَ ويقال: ورثت علماً من فلان أي استفدت منه".²

- اصطلاحاً:

تعددت واختلفت تعريفات التراث من الوجهة الاصطلاحية، كونه غامض وواسع ومتعدد الدلالات حيث اختلف من مفكر إلى آخر. وهذا ما جعله من الصعب وضع حدود له بشكل دقيق.

"فالتراث عبارة عن شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور ويتناقل من جيل إلى آخر ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعياً ومتميزة بيئياً، تظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية ولكنه يحتفظ دائماً بوحدة أساسية مستمرة ولكي نمسك بشكل أفضل من مفهوم التراث هذا ينبغي أن ننقل من التعميم إلى التخصيص".³ ونفهم من هذا أن التراث فهو الذي يمثل لنا كل ثقافة معينة، فيعبر لنا عن طريقة حياة الإنسان في الماضي، مثل العادات والتقاليد واللباس والموسيقى، وحتى البناء واللغة، ويعتبر شيء مهم لأنه ينتقل من جيل إلى آخر ويستمر عبر الزمن حتى ولو تغيرت بعض التفاصيل وهذا ما يميزه رغم التغيرات التي تحدث في سبب الزمن أو البيئة إلا أنه يظل محتفظ بجوهره الأساسي، ولكن نفهم التراث بشكل عام لا بد من دراسة مختلف البيئات لكي نتمكن من معرفة كل تراث ما يميزه عن غيره.

¹ فتح حسب ملكاوي، نصوص من التراث التربوي الإسلامي، ط1، مركز معرفة الإنسان، عمان، الأردن، 2018، ص 14.

² الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت، مادة ورثة، ص 863.

³ التجاني مياطة، التراث الأثري بين أسس البحث العلمي وسبل الحفاظ عليه، جامعة الشهيد حمى لخضر، الوادي.

وفي تعريف آخر جاء بأن التراث "هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذا قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على العديد من المستويات".¹ ويعرفه طه عبد الرحمن، انطلاقاً من مقارنة مفهوم الثقافة والحضارة بالقول: "إنه عبارة المضامين والوسائل الخطابية والسلوكية التي تحدد الوجود الإنتاج للمسلم العربي في أخذه بمجموعة مخصوصة من القيم القومية والإنسانية حيه كانت أو ميتة".² ومنه فإن التراث عنده هو كل ما يستخدمه المسلم في حياته من أفكار وسلوكيات، وكلام، والتي تعبر عن قيمه وهويته. فهو ليس من الماضي فقط، بل يعتمد أيضاً ما يساعد المسلم على أن يعيش وينتج في واقعه بحسب ما يؤمن به من مبادئ قومية وإنسانية، سواء كانت هذه القيم لا تزال حية أو أصبحت من الماضي.

وهذا يذكر لنا الدور الفعال الذي يلعبه التراث في حياتنا، وقوة تأثيره فينا بالرغم من أنه منذ القدم من عادات وتقاليد وثقافات وحتى قراراتنا الآن. في التراث ليس بشيء قديم فقط بل هو أيضاً من واقعنا، كما له تأثير في العديد من المجالات فاختلف وتعدد التراث في الفكر العربي، فكل مفكر وجهة نظر. فنجد محمد عابد الجابري (1930-2010)* قام بربط التراث بالتاريخ ويظهر ذلك في قوله: "إن التراث العربي ليس بضاعة تم إنتاجها دفعة واحدة خارج التاريخ، بل هو جزء من التاريخ وهو حركة الفكر وتطولاته"³، فالمقصود من هنا أن التراث تسلسل زمني وتاريخي مر عبر العصور. وهذا وافق تعريف حسن حنفي* (1935-2021) للتراث بقوله أنه: "هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذا قضية موروثية، وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على العديد من المستويات"⁴ ومنه أن التراث عنصر

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 13.

² طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والتسيير، بيروت، لبنان، 2011، ص 19.

* محمد عابد الجابري: (1930-2010) مفكر وفيلسوف مغربي، له أكثر من 30 مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر وأبرزها "نقد العقل العربي" الذي تم ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية، كرمته اليونسكو لكونه أحد أكبر المتخصصين في ابن رشد، إضافة إلى تميزه بطريقة خاصة في الحوار.

³ شويرب هنية ولشعل أحمد، منهجية محمد عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مجلة الإنسانية والحضارية، المجلد 03، العدد 02، جامعة عمار ثلجي بالأغواط، الجزائر، 2021، ص 110.

* حسن حنفي (1935-2021) مفكر مصري وأستاذ جامعي يعد واحداً من منظري التيار اليسار الإسلامي وتيار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية.

⁴ محمد رياض وثار، توظيف التراث في الرؤية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العربي، د ط، دمشق، 2002، ص 29.

جوهري يشكل هوية الأمم، حيث ينقل عبر الأجيال من الأجداد إلى الأبناء مما يساهم في بناء وتشكيل الحضارة، فهو يشمل مختلف الجوانب الحياتية، ويعد الأساس الذي يبنى عليه الحاضر.

ونفهم من خلال هذين التعريفين بأن التراث له حقبة زمنية من الماضي وله تسلسل تاريخي منذ القدم فهو وصل لنا عبر مراحل تاريخية ولم يأتي دفعة واحدة هذا أطلق عليه بقضية موروثية بمعنى تم توارثه من جيل إلى آخر وشمل جميع المستويات بما فيها الثقافية والسياسية والتاريخية...

وفي تعريف آخر للجابر يقرر أن التراث يطلق "بمعنى الموروث الثقافي والفكري، والدين والأدب والفني"¹ وقريب منه سعد غراب (1940-1995) وحسن غزيل (1961-2025) اللذان يتفقان في تعريف التراث بقولهما: "هو ما خلقته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين الدينية والفكرية والأدبية والعلمية والمعمارية، وآثار ذلك في أخلاق الأمة الوارثة وسلوكها وعقلياتها".²

ونفهم من خلال هذا التعريف بأن التراث هو كل ما تركه لنا أجدادنا من أفكار وعادات وعلوم وفنون ودين، وأدب وعمارة، فهذا التراث يظهر في طريقة تفكير الناس، في سلوكهم وفي أخلاقهم حتى في طريقة بناء بيوتهم أو الاحتفال بمناسبتهم فباختصار إن التراث هو ما ورثته من الماضي من علم ودين وثقافة، وهو يؤثر في حياتنا اليومية، وطريقة تفكيرنا وتعاملنا.

فالواقع الذي نعيشه اليوم ليس إلا امتداد للماضي، لكنه يتخذ أشكال جديدة ومختلفة. فكل واقع حاضر يستمد جذوره من الماضي، لكنه يعيد تشكيلها وفقاً لظروف المتغيرات الجديدة.

وهذا ما سعى إليها محمد عابد الجابري في دعوته إلى الحداثة والتي تعني النهوض من القديم إلى الجديد فهو بمثابة العمود الفقري الذي يجب أن تنظم فيه جميع مظاهرها العقلانية الديمقراطية. فالحداثة هنا عبارة عن رسالة نزوع من أجل تحديث الذهنية، وتحديث المعايير العقلية والوجدانية، فالحداثة عند الجابري لا تعني رفض التراث ولا القطيعة بالماضي بقدر ما تعني الارتقاء بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى المعاصرة أي مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي³ فمحمد عابد الجابري هنا يسعى إلى النهوض أي الانتقال من الماضي إلى الحاضر فالماضي هنا هو القديم أما الحاضر فهو الجديد، والمقصود بالعقلانية والديمقراطية هنا إعمال العقل والمنطق، والديمقراطية نسمع آراء الغير ووجهات نظرهم بمعنى العيش والتطور بعقل منفتح وروح المشاركة وليس باستبداد والسيطرة. فلا بد من التعامل مع تراثنا بطريقة حديثة، تقيدها اليوم وتساعدنا على إحراز تقدم مثلنا مثل باقي الدول.

¹ خديجة السيد عبد السميح حسونة، كيف نقرأ التراث، محاضرة الأولى، ماهية التراث، ص 03.

² المرجع نفسه، ص 03.

³ شويرب مهنية، لشعل أحمد، منهجية عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 110-111.

ويمكن الربط بين رؤيتي حسن حنفي ومحمد عابد الجابري بأن الماضي ليس عبئاً، بل هو قابل لإعادة الصياغة أو التشكيل في ضوء الحاضر، بهدف بناء مستقبل عقلائي ومتمحور.

فحسب حنفي قام بتقسيم التراث إلى عدة أقسام حيث يقول في كتابه "التراث والتجديد" يوجد التراث على مستويات فهو أولاً تراث موجود في المكتبات والمخازن والمساجد والدور الخاصة يعمل على نشره فهو تراث مكتوب، مخطوط أو مطبوع له وجود مادي على مستوى أولى الأشياء وتعدد المؤتمرات، ونشر الفهارس وتعد الإحصائيات عن الموجود منه في مكتبات العالم.¹

يرى حسن حنفي أن التراث محصور في أماكن محددة، أما في المساجد لارتباطه بالدين والعقيدة الإسلامية، أو في المكتبات الجامعية كمادة للدراسة الأكاديمية. وهذا يعني أن المجتمع العربي لا يتفاعل مع تراثه في حياته اليومية بل يتركه محصوراً في هذه المؤسسات دون دمج في الواقع المعاش. من خلال هذين المصطلحين تمكن من رؤية وجود تسميتين مختلفتين ألا وهي "تجديد التراث" و"التراث والتجديد"، فيجب الوقوف عندهما من أجل توضيح الفرق بينهما.

ب. معنى التجديد:

ظهر مفهوم التجديد كوسيلة لاستمرار ومواكبة العصر دون أن نفقد هويتنا فبتغير الزمن والمكان وتطور الحياة، لابد من التغيير والتطور نحو الأفضل وهذه كانت غاية التجديد.

- لغة: فجاء في معجم صليبة التجديد "جدد الشيء صيره جديداً أو التجديد إنشاء شيء جديد أو تبديل شيء قديم وهو مادي كتجديد الملابس والمسكن أو المعنوي كتجديد مناهج التفكير، وطرق التعليم، ويكون مذموماً في المجتمعات الزراعية الشديدة التمسك بتقاليدها، وأن يكون محموداً في المجتمعات الصناعية التي تقدس روح الاختراع".²

وفي معجم فلسفي آخر: "للتجديد نزعة تأخذ بأساليب جديدة في نواحي الحياة الفكرية والعملية ومنه التجديد المتطرف".³

- اصطلاحاً:

"والتجديد هو اجتتاب الخمول والجمود ويكون في تطلع إلى التغيير والنمو والفكري والعمل، وذلك بتجديد المفاهيم والنظريات واللغة والأفكار، باستخدام كل الوسائل المتاحة في كل الميادين ويكون الفرد

¹ شويرب مهنية، لشعل أحمد، منهجية عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 16.

² جميل صليبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 243.

³ إبراهيم المذكور، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 48.

والمجتمع مصدرها"¹. هذا يعني أن التجديد هو عملية مستمرة يقوم بها الإنسان لتطوير أفكاره وأسلوبه في الحياة، فهو لا يسعى إلى تغيير المظاهر فقط، بل يشمل جميع النواحي، ويستخدم فيه الإنسان كل ما يتوفر له من وسائل حديثة، فهو يتشارك فيه الجميع سواء أفراداً أو مجتمعات، بهدف بناء واقع أفضل.

يقدم حنفي مفهوم التجديد بعد تأكيده على أن التراث يمثل نقطة الانطلاق، باعتباره مسؤولية ثقافية وقومية. "والتجديد هو إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر في القديم سبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة والوسيلة تؤدي إلى الغاية"²، بمعنى أن التجديد ليس مجرد رفض للقديم، بل هو عملية فهم جديدة للتراث بحيث يلبي احتياجات الزمن الحاضر وكذلك يشير إلى أن كل ما هو جديد يستند إلى القديم، فالمعرفة والحضارات تتراكم وتتطور بمرور الزمن، والمعاصرة لا يمكن أن تكون ذات قيمة دون الاعتماد على الجذور الأصلية، كون أن الأصالة تمنح المعاصرة هويتها وعمقها. ويشير أيضاً إلى أن التجديد هو مجرد وسيلة تعمل على تحقيق أهداف معينة، وليس غاية في حد ذاتها، وبالتالي يتم العمل على التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، بحيث يتم الحفاظ على الهوية والتراث مع تطويره ليواكب احتياجات العصر.

وكذلك اعتبر "التجديد على أنه الغاية وهي المساهمة في تطوير الواقع وحل مشكلاته، والقضاء على أسباب معوقاته، وفتح مغاليقه التي تمنع أي محاولة لتطويره"³. حيث يمكن الحديث عن أهمية التجديد في تحقيق التقدم والتطور. فهي تشير إلى أن الغاية من التجديد ليست مجرد التغيير في الشكل، بل الهدف الأساسي منه هو المساهمة في تحسين الواقع والتصدي للمشكلات التي تواجهه، والقضاء على العوامل التي تعيق تقدمه. كما أن التجديد يسعى إلى إزالة العقبات التي تحول دون أي محاولة لتطوير الواقع.

كما أن هناك تعريف آخر للتجديد "أنه العودة للمنابع والأصول عودة كاملة صافية ودعوة للثبات على الحق وترك التقليد الفاسد القائم على الاتباع والمحاكاة على غير بصيرة"⁴. يمكن القول أن التجديد لا يعني اتباع التقليد الفاسد أو المحاكاة العمياء دون وعي أو بصيرة بل يتطلب تمييز الحق من الباطل، والتمييز بين ما هو أصيل ويستحق الثبات وبين ما هو دخيل أو منحرف يجب تجاوزه. فالتجديد، وفقاً لهذا الفهم ليس انقطاعاً عن الماضي بل إحياء ما هو صحيح، وتنقيته من الشوائب التي تراكمت عليه عبر الزمن.

¹ أسعد صباح الشنان، علم الكلام وراهنية التجديد، عبد الجبار الرفاعي نموذجاً، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2024، ص 34-35.

² حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 15.

³ مصدر نفسه، ص 15.

⁴ محمد بن شاكر الشرين، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط1، مجلة البيان، الرياض، 2004، ص 13.

ت. الاختلاف بين تجديد التراث والتراث التجديد:

فالتراث جزءا مهما من هوية الشعوب ومصدر للمعرفة، وقد اختلفت طرق التعامل معه بين من يسعى إلى تجديده، وبين من ينادي ببناء فكر جديد ينطلق منه. ومن هنا يتبين لنا الفرق بين تجديد التراث وتراث التجديد.

يقول حسن حنفي وليست القضية "تجديد التراث" "تراث التجديد" لأن البداية هي التراث وليس التجديد من أجل المحافظة على الاستمرار في الثقافة الوطنية وتأسيس الحاضر ودفعه نحو التقدم والمشاركة في قضايا التغيير الاجتماعي¹، والقصد هنا أن التراث ليس مجرد شيء يضاف إليه أو يحسن من أجله الحفاظ عليه. بل هو مصدر أساسي من خلال نتمكن من فهم حاضرننا وتحقيق التقدم. التراث ليس فقط عبارة عن مصدر يحافظ عليه فقط بل هو أداة نستخدمها لتعزيز المجتمع، وتطويره وبناء المستقبل.

أي ربط التراث بتطورات وتحديات العصر بدلا من المحافظة عليه.

حيث نجد البعض ربط التراث بالفكر ويظهر هذا في "لا نرى أن من السهولة فصل قضية الاهتمام بالتراث عن قضية الفكر المعاصر، لأن حركة الاهتمام بالتراث أصبحت متصلة بالتفكير بقضية النهوض الحضاري للأمم، وقضية النهوض نفسها أصبحت مسألة جدل فكري حول العلاقة بين الماضي والحاضر، أو بين القديم والحديث".² فربط التراث بالفكر يدل هذا وجهة نظرهم حول التراث باعتباره ليس شيئا من الماضي فقط ندرسه، بل أصبح جزءا من النقاش حول المستقبل. فالاهتمام بالتراث أصبح مرتبطا بنهوض الأمم مما أثار جدلا حول علاقة التراث الموجودة بين الماضي والحاضر، وكيف نجمع بين القديم والجديد بطريقة تحرز تقدم المجتمع.

"ونجد أيضا الجابري اهتم بدراسة التراث بصفة خاصة. وعند المفكرين بصفة عامة، كان نتيجة هيمنة الثقافة الغربية الأوروبية وتطورها ووصولها إلى تحقيق الأصالة والحداثة، بينما بقي الفكر العربي الإسلامي متأخرا ومتذبذبا ومنحصر في التبعية والترجمة والتقليد دون الاعتماد على آليات الفحص والنقد وهذا ما ساهم في تراجع وانحطاط الحضارة العربية الإسلامية في جميع الميادين".³ إن سيطرة الثقافة وتطورها كان انعكاس على نظرة الناس للفكر العربي الإسلامي، بأنه متأخر لاعتماده على تقليد الغرب دون الاعتماد

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 13.

² فتحي حسن ملكاوي، التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، عمان، 2025، ص 43.

³ عوداش فتيحة، منهجية عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مجلد مفاهيم الدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، جامعته زيان عاشور الجلفة، العدد 07، جامعة الجزائر 02، 2020، ص 311.

على أفكاره وتطويرها، فالعرب لم يعتمدوا على النقد والتحليل بشكل كافٍ، مما أدى إلى ركود الحضارة الإسلامية في العديد من المجالات، وهذا ما دفع بالجابر إلى تولي دراسة التراث بصفة خاصة. من أجل التخلص من التبعية وفك القيود، وتحقيق التطور في شتى المجالات، وقيام تراث جديد مستقل في ذاته.

"والتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره".¹ للتراث أهمية بالغة، إذ يعد مرآة تحليلية تنقل لنا ملامح واقع الأمم وتفاصيل تطورها، كونه يعكس لنا هوية الشعوب ويبين لنا كيف بنت الحضارات عظمتها ومكانتها وما هي الأسباب التي أدت إلى استمرارها أو تراجعها.

"فهو ليس متحفاً للأفكار نفخر بها وننظر إليها بإعجاب ونقف أمامها في انبهار وندعو العالم معنا للمشاهدة والسياحة الفكرية بل هو نظرية للعمل وموجه للسلوك وذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض..."² حيث لا ينبغي علينا أن نتعامل مع الأفكار كما نتعامل مع التحف في المتاحف، بمعنى أننا لا نكتفي بالنظر فقط والانبهار كونها شيء عملي يساعدنا في إعادة بناء الإنسان، وتنظيم علاقته بالأرض والحياة.

ومن خلال هذا يكمن الفرق باختلاف وجهات النظر وتضارب الآراء بين المفكرين حول تجديد التراث وتراث التجديد فمنهم من ينظر إلى التراث أنه بحاجة إلى تطوير حتى يتماشى مع العصر الحالي، فلا بد من إعادة قراءته من أجل إصلاحه ليستمر في الحاضر أما الرأي الآخر تراث التجديد ينظر إلى التجديد على أنه جزء من تراثنا نفسه فبحث في التاريخ عن المفكرين والمواقف التي دعت إلى التغيير. فهذا بهدف إثبات أن التجديد ليس بشيء غريب عنا فهو موجود في تراثنا.

ث. مسائل التجديد في ظل التراث الحضاري:

تعتبر قضايا التراث والتجديد من المواضيع المهمة في الفكر العربي والإسلامي، فالكل يسعى إلى كيفية التمكن من الحفاظ على تأصيل التراث، مع ضرورة متابعة التطورات الحديثة. فالتجديد لا يعني التخلي عن الماضي، بل محاولة فهمه وتطويره بما يخدم الحاضر والمستقبل، بخلق توازن بين الأصالة والمعاصرة. ويرى حسن حنفي بأن التراث والتجديد يتمحور على ثلاث قضايا هامة منها:

¹ عوداش فتحة، منهجية عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 15.

- **الاكتفاء الذاتي من التراث:** يعني أن التراث القديم على أنه نظام مكتمل بذاته ويظهر هذا في قوله: "فتراثنا القديم حوى كل شيء مما مضى أو مما هو آت، وهو فخرنا وعزنا وهو تراث الآباء والأجداد، علينا الرجوع إليه ففيه حل لجميع مشاكلنا الحاضرة، فلا يتقدم الحاضر إلا بالرجوع إلى الماضي، وأن التاريخ يسير في تدهور مستمر باعتبار أن قمة التاريخ كانت في عصر ذهبي في الماضي، وأنه لا يمكن اللحاق بهذه القمة من جديد"¹. ونفهم من الاكتفاء الذاتي للتراث، هو الاعتقاد بأن التراث القديم، يضم كل ما نحتاجه ولسنا بحاجة إلى إضافة ما هو جديد من الخارج، في حين أن البعض يرى أن التراث قادر على حل المشاكل التي تواجهنا في الحاضر والمستقبل وأنه يكفي فقط أن نعود إليه لنتمكن من معرفة الحلول. في حين يرى أن أحسن الفترات التي مر بها التاريخ كانت في الماضي، وأنه من أجل أن يحرز تقدم لا بد من العودة إلى الماضي. والقمة كانت سابقا ولا يمكن الوصول لها إلا إذا رجعنا لما كان عليه الأوائل.

بمعنى أن التراث وحده كافٍ ولسنا بحاجة إلى التجديد أو التحديث لأن كل ما هو على صواب قد تحقق في الماضي. فنجد بعض المفكرين ينتقدون هذا المفهوم، لاعتبار أن التراث بحاجة إلى تجديد وتجاوب مع العصر، ومن بينهم حسن حنفي الذي كان يدعو إلى التجديد والانفتاح والتطلع على الآخر. ومن جهة أخرى نجد محمد عابد الجابري "لابد من التعامل مع التراث أن يكون على مستويين: مستوى الفهم، ومستوى التوظيف أو الاستثمار، في المستوى الأول يجب أن نحرص على استيعاب تراثنا ككل بمختلف منازعه وتياراته، ومراحله التاريخية، أما على مستوى التوظيف يجب أن نتجه أكثر وأكثر إلى أعلى مرحله وقف بها النقدم"². فهنا نجد مستويين للتراث فالمستوى الأول ندرس التراث من جميع جوانبه واتجاهاته بعدها نطلع على الظروف التي كتب وقتها، والمستوى الثاني لابد من الاستفادة منه بشكل صحيح وذلك بأخذ من التراث ما هو مهم وأهم بمعنى الأشياء التي تفتح أمامنا الباب للتطور ومحاولة الوصول إلى الأفكار العميقة التي تؤدي إلى ازدهارنا لا إلى الرجوع إلى الوراء. حيث نجد الجابري يدعو إلى ضرورة قراءة التراث عن طريق فصل الذات عن الموضوع حتى تكون هذه القراءة سليمة وقوية.

- **الاكتفاء الذاتي للتجديد:** فالتجديد الحقيقي لا يكون من خلال نقل نماذج من الخارج أو الاعتماد على أفكار جاهزة، بل يكون من الداخل، من فهمنا العميق لواقعنا وتراثنا، فالإكتفاء الذاتي للتجديد يعني القدرة على تطوير أنفسنا من خلال أفكارنا وثقافتنا، لا من الخضوع للآخرين. "وهذا يعني أن التراث القديم لا

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 27.

² محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط6، 1993، ص 47.

قيمة له في ذاته، كغاية أو وسيلة ولا يحتوي على أي عنصر من عناصر التقدم، وبأنه جزء من تاريخ التخلّف أو أحد مظاهره، وأن الارتباط به نوع من الاغتراب، ونقص في الشجاعة¹. وهنا تم نقد التراث كونه جزء من الماضي المتخلف، ولا يملك أي شيء في إحراز تقدم، فالتمسك به والاعتماد عليه عبارة عن ضعف وهروب من الواقع، بمعنى آخر أن البعض يظن أن الرجوع للتراث هو مثل العيش في الماضي، وأن من يتمسك به لا يملك الشجاعة للتغيير أو يواجه واقع جديد، وهذا راجع إلى ضعفه. لا يمكن إنكار ما توصل إليه التراث ويظهر ذلك في القول "والحقيقة أن هذا الموقف يكشف أيضا عن وجود فئة من الناس استطاعت أن تتحقق بما لم يصل إليه سائر أفراد المجتمع من علم وحماسة وشجاعة ورغبة في التغيير وجذرية ونقاء ولكنها تسبق الغالبية العظمى بمراحل، وتنتهي إلى العزلة، فهي على حق من حيث المبدأ وعلى خطأ من حيث الواقع"². لا يمكن إنكار التراث فهو أكثر علما وأكثر حماسة وشجاعة عندهم رغبة قوية في التغيير، ويحبون التغيير الجذري والصادق، لكن هذه المجموعة سبقت المجتمع كثيرا في تفكيرها فلا يتمكن أغلب الناس من فهمها ولهذا تصبح معزولة ولا تؤثر في الواقع. فنجد بأن هذه الفئة على صواب من حيث المبدأ لكنها على خطأ من حيث التطبيق، لهذا يفشلون في إحداث التغيير المطلوب.

ونفهم من هذا أن الأفكار وحدها لا تكفي لتحقيق التقدم والتغيير، فلا بد من مراعاة واقع المجتمع وظروفه، فالتجديد الحقيقي لا يتحقق بالقفز على الناس أو بالعزلة، بل يكون بشكل تدريجي من أجل تغيير، وتحقيق التواصل مع الناس ومساعدتهم على الفهم والمشاركة. فالفكر الجيد يحتاج إلى واقع وفطنة في العمل حتى ينجح ويؤثر.

- التوفيق بين التراث والتجديد:

وهذا ما دعا إليه حسن حنفي في قوله "ويعني هذا الموقف الثالث الأخذ من القديم ما يتفق مع العصر وإرجاع الجديد لمقاييس القديم فهو موقف شرعي من الناحية النظرية، يود أن يستوعب مزايا كلا الموقفين السابقين وأن يتخلى عن عيوبهما وقد عبر الكثيرون عن نواياهم للقيام بهذا الدور ولكن إعلان النوايا شيء آخر ولو تم ذلك بأسلوب خطابي"³. بمعنى الأخذ من القديم ما يتناسب مع الظروف والأوضاع السائدة في العصر مع القيام بوضع التغييرات والتعديلات المناسبة فيصبح بحلة جديدة مبنية على الأصالة من خلال

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 29.

² المصدر نفسه، ص 29.

³ المصدر نفسه، ص 27.

الرجوع إلى الماضي والتطور الحضاري لا يمكن أن يتحقق إلا إذا استطاعت الحضارة مواكبة العصر الحديث.

يرى الجابري "أن التراث ضروري لفهم الحاضر وما دام كذلك فلا بد أن يكون التعامل معه تعاملًا علميًا، ويقصد بالتعامل العلمي أن يلتزم البحث بأكبر قدر من الموضوعية وأكبر من المعقولية، فالموضوعية أن يكون التراث معاصرًا لنفسه، أما المعقولية هو جعل التراث معاصرًا لنا وإعادة وصله بنا"¹. هذا يعني أن التراث هو كل ما ورثناه من أفكار وعادات وتاريخ مهم لفهم حياتنا اليوم، لكن لا بد من التعامل معه هو بإعمال العقل ومنهج واضح، والمقصود بتعامل علميًا الموضوعية والمعقولية، فالموضوعية نعني بها فهم التراث كما كان في وقته، فهم ظروفه وأسبابه دون أن نحكم عليه من نظرتنا الحالية، والمعقولية الأخذ من التراث ما يناسبنا، بحيث نأخذ منه ما يفيدنا في العصر الحديث. نجد كل من حسن حنفي والجابري يسعوا إلى الجمع بين التراث والتجديد وإعادة قيام فكر عربي إسلامي بأسلوب يتماشى مع عصرنا. وهناك نوعين من التجديد:

➤ **التجديد من الخارج:** والمقصود به تحديث الفكر أو التراث وذلك باستخدام مفاهيم وأفكار قادمة من خارج ثقافتنا دون الاعتماد على أدوات من داخل التراث نفسه. "وذلك عن طريق انتقاء مذهب أوروبي حديث أو معاصر ثم قياس التراث عليه ورؤية هذا المذهب المنقول في تراثنا القديم وقد تحقق من قبل ومن ثم نفتخر بأننا وصلنا إلى ما وصل إليه الأوروبيون المعاصرون بعشر قرون أو أكثر من قبل"²، هذا يعني أن بعض المفكرين العرب يقومون باختيار فكرة حديثة ظهرت في أوروبا أو بعض النظريات العلمية كانت أو فلسفية ويبحثون في التراث الإسلامي أو العربي القديم محاولين إيجاد تشبيه لهذه الفكرة الأوروبية كانت موجودة من قبل مما يجعلهم يقولون أن هذه الفكرة ليست جديدة، بل كانت موجودة في حضارتنا منذ قرون، ولكنها لم تفهم بشكل صحيح في الماضي، مما يجعل البعض يفتخرون كون أن الفكرة كانت موجودة عندنا قبل أن تظهر عندهم.

يقول حسن حنفي "استطاع عدد من الباحثين الذهاب إلى الخارج في بعثات أولى وتعلموا المذاهب السائدة في ذلك الوقت أو نقلوها طبقًا للمزاج والبيئة والثقافة ثم رجعوا يروجون للمنقول وبعد حين وجدوا

¹ عوداش فتيحة، منهجية محمد عابد الجابري في قراءته للتراث العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 310.

² حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 32.

أنفسهم أيضا في بيئتهم المحلية فلم ينكروا له بداية أو تنكروا لها ثم عاودهم الحنين إلى الماضي بعد اكتشاف اغترابهم وانعزالهم عن الثقافة القومية.¹

يرى حسن حنفي أن التجديد يتمثل في تبني نسق فكري معين، ثم متابعتها نسق معاصر، مما يتيح لنا إجراء مقارنة بين ما هو قديم وما هو جديد، ويعود أصل هذا التصور إلى مجموعة من المفكرين العرب الذين هاجروا إلى الغرب. فقاموا بالاطلاع على ثقافتهم وفنونهم وعلومهم، مستلهمين منهم ما يثري فكرهم. وعند عودتهم إلى أوطانهم قاموا بدمج ما اكتسبوه من الفكر الحديث مع تراثهم، ليخلقوا تواصلا بين الأصالة والمعاصرة.

حيث نجد أن العرب قاموا ببناء علاقة متوازنة بين القديم والجديد، وذلك من خلال نقل ما اكتسبوه من معارف وتجارب أثناء إقامتهم في الغرب، محاولين توظيف ما تعلموه في الغرب داخل السياق العربي، مع الحفاظ على مقومات الحضارة العربية بهدف تجاوز حالة الاغتراب الثقافي، والابتعاد عن العزلة الفكرية. ➤ **التجديد من الداخل:** والمقصود به أننا بدل ما نرفض تراثنا أو نقلده نحاول إصلاحه وتطويره من الداخل بالاعتماد على أفكارنا ولغتنا. "وذلك عن طريق إبراز أهم الجوانب التقدمية في تراثنا القديم وإبراز تلبية حاجات العصر من التقدم والتغيير الاجتماعي فتبرز الاتجاهات الاقتصادية في الملكية العامة وفي تنظيم الزكاة، أو نظرياته القانونية في التشريع بوجه عام".²

بمعنى أن تراثنا كان يحتوي على جوانب متقدمة مثل (العدالة، التكافل، التنظيم الاقتصادي)، حيث نقوم بإبراز هذه الجوانب وإظهارها أي نظهر كيف يمكن لهذا التراث أن يسهم في تلبية حاجات العصر الحديث من حيث التقدم والتغيير الاجتماعي، وذلك من خلال الربط بين الماضي والحاضر تظهر لنا بعض التوجهات الاقتصادية المهمة في تراثنا.

يعد التراث المنطلق الأساسي والجذر لكل عملية تطور، فلا يمكن للحضارة العربية أن تنهض وتتقدم دون العودة إلى أصولها. وفي نفس الوقت لابد من التفاعل مع مظاهر التجديد في الواقع المعاصر، لذلك وجب الجمع بين ما هو أصيل في التراث وما هو حديث في الواقع. فحسب حسن حنفي التراث والتجديد معا يشكلان الأداة الفعالة لفهم الواقع.

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 32.

² المصدر نفسه، ص 33، 34.

2. بزوغ مشروع الاستغراب في التراث والتجديد:

أ. موقفه من التراث القديم:

فالتراث القديم جزء مهم من هويتنا وتاريخنا، كونه يعبر عن أفكار وتجارب أجدادنا، ولكن ليس كل ما يحمله ينفعا اليوم. لهذا وجب علينا فهمه ونقده إذا لزم الأمر، ونأخذ منه ما يفيد حاضرتنا ويخدم مستقبلنا. "تبدو الجهة الأولى أضخم وأكثر تفصيلا لأنها أعمق في التاريخ إذ أنها تمتد ما يزيد على الألف وأربعمائة عام، وهي الأكثر حضورا في وعينا القوم وتاريخنا الثقافي".¹

بمعنى أن هذا الجانب الأول يبدو أكبر وأكثر تعقيدا كونه الأقدم، وهذا ما جعله يصبح حاضرا بقوة في ثقافتنا ووعينا الجماعي، لأنه يشكل جزءا مهما تاريخنا الفكري والديني.

فالجابري "يهدف إلى الانتظام في التراث لكن ليس بهدف الفرق فيه، بل يدعون إلى تحقيق ما يعرف بالعودة اليقظة قصد المساهمة في الكشف عن آلياته المعرفية والنظرية، والتي بإمكانها إعادة استثمارها من جديد على مستوى ما يعرف في نظر الجابري بالانتظام العقلاني النقدي على مستوى تراثنا، ووفقا لهذا فإن تجديد الأفكار لا يتحقق إلا إذا كانت الانطلاقة من الداخل".² ومنه فالجابري لا يدعو إلى الفرق في التراث أو تقليده، بل يدعو إلى ضرورة العودة إليه لفهمه وفهم الأسس النظرية التي يبنى عليها ونقده وهذا النقد يجب أن يكون من داخل تراثنا. وهذا يساعدنا في إعادة توظيف هذا التراث بطريقة عقلانية وحديثة تخدم واقعنا.

يرى حنفي أن هذا التراث تلقى الرفض من الخارج نتيجة للتأثيرات الثقافية والفكرية الغربية، ومن الداخل مثل تراث المعتزلة.

في المقابل نجد طه عبد الرحمن "يرى أن علاقة الفرد بتراثه ليست علاقة نظرية جامدة، ولا علاقة اختيارية، بالوجدانية اضطرارية، دون أن يقصد من ذلك قبولا غير منضبط للمنقول أو رفضا تاما لمنهجيات نقد التراث وعليه يقرر طه عبد الرحمن بالفعل استحالة قبول كل ما في التراث على الوجه الذي كان به، لما في ذلك من قطيعة مستحيلة مع الحاضر".³ نفهم من هذا أن علاقتنا بالتراث ليست علاقة عقل فقط،

¹ حسن حنفي، في علم الاستغراب، المصدر السابق، ص 11.

² طرشي الزهرة، رباني الحاج، محمد عابد الجابري والتراث القراءة والمواقف، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 08، عدد 01، جامعة معسكر، جوان 2017، ص 393-394.

³ سهر محمود عبد السلام محمد، موقف طه عبد الرحمن النقدي من التراث العربي فلاسفة الإسلام والمتصوفة "المنهج، الخطاب، الرؤية"، مجلة علمية محكمة، المجلد 01، العدد 12، وجدة النشر العلمي، كلية البنات للأدب والعلوم والتربية، جامعة عين الشمس، ديسمبر 2021، <https://bunuth,journals,ekb.eg>.

بمعنى نحن الذي يحق لنا اختيار نرتبط بها أو لا، بل هي علاقة عاطفية ضرورية مثل علاقة الإنسان بعائلته.

ب. موقفه من التراث الغربي:

في هذه الجبهة، حاول حسن حنفي أن ينهض بالحضارة الإسلامية من جديد، ليس بقطع الصلة مع الماضي، بل ببنائها على أسس الحضارة القديمة بعد دراستها نقدياً. فقام بتحليل ما مرت به من أخطاء وضعف، لفهم أسباب التراجع والجمود، حتى يتمكن من وضع تصور لحضارة إسلامية حديثة وأقوى فاعلية. "وتقوم دراسة حنفي للوعي الغربي على الوقوف على ما يعترف به من أصلين: اليوناني والروماني، واليهودي، المسيحي، سعياً للكشف عن الأصول التي يتكتم عليها كالأصل الشرقي القديم والمسيحية والتي طمسها اليهودية التي كرست روح العنصرية المركزية الإقصائية للحضارات غير الأوروبية. كما طمس الوعي الأوروبي أثر البيئة الأوروبية نفسها".¹ بمعنى أن الوعي الغربي يعترف بجذوره المعروفة والمعلنة ويفتخر بها وتدرس بوصفها أساساً للحضارة الغربية الحديثة، كما سعى إلى كشف الغرب كيف تجاهل أصول أخرى التي ساهمت في تكوينه، فهي لم يتم ذكرها كونها لا تتناسب مع صورة الغرب، فنجد أن الشرق القديم كانت له يدعون في نشوء الفلسفة والعلوم والدين، لكن الوعي الغربي ينكر هذا ولا يعترف به. "ويهدف حسن حنفي في هذا الموقف إلى إعادة الكرة مرة أخرى، وإقامة حضارات إسلامية جديدة بالإضافة إلى الحضارة الإسلامية التي ورثناها. وذلك لأننا في عصر مشابه للعصر القديم وذلك عند مواجهته تراثنا الناشئ التراث اليوناني الوافد. ونحن منذ أوائل القرن الماضي في مواجهة مفتوحة مع التراث الغربي، والحال أسوأ لأن الوفود قد تحول إلى غزو، ووعينا بأنفسنا وبأصولنا وبنموذج الماضي ضعيف ومترهل".²

نجد حسن حنفي هنا يرى أن العالم الإسلامي يعيش وضعاً مشابهاً وذلك عند مواجهته للفلسفة اليونانية لكن هنا الوضع أصعب، كون أننا في مواجهة لحضارة غربية ذات قوى مهيمنة على العالم فكرياً وثقافياً وسياسياً.

"فتحديد موقفنا من التراث الغربي جزء من حركة التاريخ وتطور الحضارات واستمرار لما بدأناه في العصر القديم. باعتباره تحليل لواقعنا المعاصر الذي أصبح التراث الغربي جزء من تكوينه الثقافي. كما أنه

¹ السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص 38.

² حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 180.

واجب وطني وقومي وذلك من أجل تأصيل موقفنا الحضاري، والقيام بالحركة التي لم نقم بها حتى الآن وهي معركتنا مع الثقافة الغربية الوافدة وهو ما انطلق عليه الاستعمار الثقافي".¹

فلا بد من إعادة النظر في علاقتنا بالتراث الغربي كونهم امتدادا لمعركة فكرية بدأت منذ القدم، نتيجة لتأثرنا به بعد الاستعمار.

لهذا وجب علينا أن نتخذ موقفا حضاريا واعيا دون رفضه بالكامل ولا تقليله تماما وذلك بفهمه والتفاعل معه، مع المحافظة على هويتنا، كما يسعى إلى بناء حضارة عربية إسلامية أصلية ومعاصرة فهذا واجب علينا كشعوب لها تاريخ وثقافة حتى لا يبقى تحت تأثير ما تركه الاستعمار في عقولنا وثقافتنا. "كما أيدّه ناصيف نصار كون أن أفكاره تمحورت حول ضرورة الاستقلال الفكري ومقاومة علاقة التبعية للغرب باعتبارها ما زالت حاضرة بأشكال متعددة، سياسية واقتصادية وفكرية وثقافية".² ونفهم من هذا الدعوة إلى الاستقلال الذاتي من جميع الجوانب الحياتية نجد حسن حنفي في هذه الجبهة قام بتقسيمها إلى ثلاث أجزاء، فكل جزء يمثل لنا حقبة زمنية معينة من الفكر الغربي الأوروبي، وقد تم تحديدها بالشكل التالي:

• الجزء الأول: عصر آباء الكنيسة (مصادر الوعي الأوروبي):

امتدت هذه المرحلة من (القرن الأول إلى القرن السابع) فعرفت هذه المرحلة بمحاولة دراسة أصول الفكر العربي في الفترة الأولى. "وأهمية هذه الفترة ترجع إلى أن الوحي الإسلامي قد أصدر أحكاما عليها فيما يتعلق بصحة الكتب المقدسة أو سلامة العقائد الدينية أو سلوك أهل الكتاب. فدراسة هذه الفترة تكون في نفس الوقت نوعا من تفسير الوحي الإسلامي بالعثور على الوقائع التاريخية التي يشير إليها".³ ونفهم من هذا أن في أوروبا ظهر مجموعة من رجال الدين المسيحيين يعرفون بآباء الكنيسة حيث حاولوا شرح وتفسير الدين المسيحي وبنوا بدايات الفكر الغربي، فوجب على المسلمين دراسة هذه المرحلة باعتبارها مهمة، كون القرآن الكريم تحدث عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وكتبهم وسلوكهم، ففهم ما حدث في ذلك الوقت يساعد المسلمين على فهم أعمق لما تحدث به القرآن عنهم. ومنه يمكن القول أن دراسة عصر آباء الكنيسة تساعدنا على فهم أصول الفكر المسيحي وتاريخ أهل الكتاب، مما يوضح لنا الوصاية التي وردت في الوحي الإسلامي عنهم ويفسرها في ضوء الوقائع التاريخية.

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 180.

² غبضان السيد علي، سؤال الاختلاف الفلسفي رهانات الإبداع في الفكر العربي المعاصر، نيويورك للتوزيع والنشر، 2018، ص 118.

³ حسن حنفي، تراث والتجديد، مصدر سابق، ص 181.

أما المرحلة الثانية فعرفت بالعصر المدرسي أو العصر الوسيط المتأخر، فكانت هذه المرحلة وعاء للحضارة الإسلامية، "لأن فيها بدأ الأوروبيون يتأثرون بالحضارة الإسلامية نتيجة ترجمة الكتب إلى لغاتهم، مما فتح لهم الباب لمعرفة كل من الفلسفة والعلم والمنطق، فبدأ بالاعتماد على العقل في تفكيرهم بدل ما كانوا يعتمدون على كل ما تقوله الكنيسة مما جعلها أقل قوة. فكانت التنوير الإسلامي أكبر رد فعل عنيف العصور الحديثة، وفي نفس الوقت ظهرت الفلسفة اليهودية العقلية، المتأثرة بالإسلام كون أن اليهود كانوا يعيشون في بلاد المسلمين وتأثروا بفكرهم".¹ فهذا العصر مكنه من الاطلاع على العلم والفكر الإسلامي، وهذا ما غير طريقة تفكيرهم وأدى إلى التقليل من سلطة الكنيسة.

• الجزء الثاني: الإصلاح الديني وعصر النهضة (بداية الوعي الأوروبي):

والذي انقسم إلى مرحلتين امتدت هذه الفترة خلال القرنين (الخامس عشر والسادس عشر) فهذه المرحلة جاءت من أجل الإصلاح الديني وعصر النهضة فكانت هذه نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفكر الغربي، ويظهر ذلك من خلال "فكانت أول محاولة لرفض سلطة القديم في العصر المدرسي، واحتكار الفكر، ورفض السلطة الدينية، وبداية إثبات الحرية والعقل والإنسان كحقائق أولية، وبداية كشف الإنسان بجهده الخاص للعلوم والفنون والصناعات ورفض التغليب الواقع باسم الدين والسلطة".² فهنا تم رفض سلطة الكنيسة والدين والدعوة إلى أعمال العقل وتخليص الإنسان من القيود على أساس السلطة والدين. "وفي هذه الفترة أيضا نجد أوروبا بدأت في الخروج على حدودها والاستيطان على سواحل آسيا، وإفريقيا وأمريكا، فهي بداية الاستعمار الاستيطاني، وهذه الفترة أيضا. وفي هذه الفترة تعادل بداية توقف حضارتنا بعد ابن تيمية، ابن خلدون، وبداية عيش الحضارة الإسلامية على تاريخها، وظهور الموسوعات الكبيرة، وحركة الشروح والملخصات، فبينما يبدأ الفكر الغربي في النهوض تبدأ حضارتنا في التوقف والانحصار".³ فهنا نجد أن أوروبا تسعى إلى التوسع والتغلغل إلى داخل الأوطان الأخرى من أجل فرض سيطرتها ونفوذها على أراضي أخرى واستغلال ثرواتها وهذا ما يعرف بالاستعمار الأوروبي، في المقابل نجد العالم الإسلامي منغلق على نفسه بشرح الكتب القديمة، وشرحها في حين أن الآخر يسعى إلى الإبداع.

أما المرحلة الثانية: العصر الحديث (بداية الوعي الأوروبي): في العصر الحديث بدأت أوروبا تشكل شعورا جديدا، ظهر فيه اتجاهان رئيسيا أحدهما يعتمد على العقل والروح، وآخر على الحواس المادية، رغم

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 181-182.

² المصدر نفسه، ص 182.

³ المصدر نفسه، ص 182.

تعارضهم، إلا أنهم يسعون إلى غاية وهدف مشترك، وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر انتشر شعور أوروبي يسعى لاكتشاف القيم العاملة مثل العقل، الحرية، وتطور الفرد والمثل العليا. هذه المرحلة كانت الأساس الليبرالي الأوروبي، وهي المرحلة التي كانت فيها أوروبا مدركة لذاتها، وتعي كتابتها تاريخها".¹

• الجزء الثالث: نهاية الوعي الأوروبي (القرن التاسع عشر والقرن 20):

أطلق عليها بالعصر الحاضر، "وفي هذه المرحلة تم ضم الاتجاهين السابقين اللذان أفقدا الشعور الأوروبي توازنه. وظهرت فلسفات تاريخية التي عبرت عن العنصرية، والقوة والسيطرة، وهذه الفترة هي الفترة التي بدأت فيها حركتنا الإصلاحية في القرن الماضي محاولة نقل حضارتنا إلى طور جديد بدءا بالإحياء ثم الإصلاح".² في هذه المرحلة، بدأ الوعي الأوروبي بالخروج عن توازنه من خلال فرض سيطرته وقوته ونفوذه بدل السير على قيم إنسانية، مما كان هذا انعكاس على أوروبا والعالم. مما أدى إلى ظهور العديد من الحركات الإصلاحية تعمل على إعادة إحياء الحضارة وتحويلها إلى مسار جديد يبدأ بالوعي بالذات والإصلاح الثقافي والاجتماعي.

ونفهم من هذا أن الوعي الأوروبي بدأ ينهار، بعد أن كان العقل الأوروبي وتقدم، إلا أنه فقد توازنه فوق، كون الإنسان أصبح يفكر من داخل نفسه فقط، وفصل نفسه عن الواقع.

"فإن كان القسم الأول من (التراث والتجديد) وهي موقفنا من التراث القديم، فقد أعلن عن بداية شعور العالم الثالث كطليعة للتاريخ فإن القسم الثاني (موقفنا من التراث الغربي) يعلن نهاية الشعور الأوروبي، وتخليه عن دور القيادة للتاريخ البشري".³ نفهم من هذا أن القسم الأول من مشروع (التراث والتجديد) كان يتحدث عن كيف نفهم تراثنا ألا وهو التراث العربي الإسلامي مما يعكس بداية وعي جديد في العالم الثالث، كما أنها تلعب دور في التاريخ وأنها لا تتبع الغرب فقط، بل قادرة على الإبداع والتجديد، أما القسم الثاني فكان عبارة عن نهاية الوعي الأوروبي، بمعنى أن أوروبا بدأت تخسر الدور كونها هي التي كانت تقود العالم في الفكر والحضارة وهذا راجع إلى أزمتها الفكرية والأخلاقية بسبب العنصرية، الاستعمار.

ويمكن أن نلخص هذه المراحل بالقول بأن "ففي مرحلة آباء الكنيسة تشكل الوعي الأوروبي باعتباره وعيا دينيا أفلاطونيا إشراقيا، وقد استغرق ذلك القرون السبعة الأولى التي تشكلت فيها العقائد المسيحية"⁴، وفي الفلسفة المدرسية تحول تعليم الدينية من الكنائس إلى المدارس ومن المعابد إلى الجامعات، كما تحول الوعي

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، المصدر السابق، ص 182.

² المصدر نفسه، ص 183.

³ المصدر نفسه، ص 183.

⁴ جمعة صباح، الاستغراب وأهدافه عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 107.

الأوروبي من الأفلاطونية الإشرافية إلى الأرسطية الطبيعية"¹، " وفي عصر الإحياء بدأت العودة إلى الأصول بالبحث عن النصوص والتعامل معها مباشرة دون واسطة أحد، وفي عصر الإصلاح الديني قامت الحركة نفسها أي العودة إلى الأصول ولكن في الدين من أجل الإصلاح والقضاء على سلطة الكنيسة وتأكيد حرية الإنسان في الفهم والتفسير، وإعطاء الأولوية للداخل على الخارج والأخلاق على العقائد. وفي عصر النهضة حدث نفس الشيء، لكل فلسفة عصر النهضة كانت تدور حول الإنسان وكرامته وحرية واستقلاله، ثم أتى القرن العشرين لإحداث الثورة الصناعية الثانية وهي عصر التقنية، أو ما يعرف بالعصر الحاضر".²

ت. موقفه من الواقع (نظريه التفسير):

فحسن حنفي يرى بأن التراث جزء مهم من واقعنا، لأنه يضم أفكار ما زالت تؤثر في حياتنا اليومية، وتوجه تصرفاتنا، فإن فهم التراث وتحليله هو في الحقيقة محاولة لفهم الواقع بشكل أفضل، ويقول: "لا يمكن فهم التراثين المحلي والغربي إلا بفهم الواقع الحالي والذي على أساسه سيتم إعادة بناء الأول، واختيار الثاني، ولا طالما كثر الحديث عن ربط الجامعة بالواقع، والثقافة بالواقع، دون أن يتجاوز الحديث ألفاظ العبارات إلى معانيها، ودون أن يتجاوز الحديث المعاني التي تحققها كمشاريع فعلية للأبحاث ودراسات، وبدون هذا البعد الثالث يظل الموقفان الأولان مجرد معلومات من كتب صفراء أو بيضاء لا صلة لها بواقع قديم أو جديد، ولا تتير شيئاً في ذهن المستمع أو القارئ المشدود إلى قضايا الواقع".³ فنحن هنا نرى بأن كل شيء تم إرجاعه للواقع. وهذا يظهر أهمية فهم الواقع الحالي فإذا أردنا أن نفهم تراثنا أو تراث الآخر بشكل صحيح، فبدون فهم الواقع، لن نتمكن من إعادة بناء تراثنا ولا اختيار ما يفيدنا من التراث الغربي، حيث نجد بأن ربط الجامعة بالواقع أو "ربط الثقافة بالواقع" يبقى مجرد كلام نظري دون تطبيق كما نقول مجرد حبر على ورق لهذا يجب الربط بينهم وبين الواقع، من أجله أن يتحول إلى مشاريع موجودة على أرض الواقع.

والمقصود بالتفسير هنا هو نظرية ذاتية بها نتمكن من إعادة بناء العلوم التي بها يمكن تحويل طاقة الوحي إلى البشر، وصبها في الواقع وتحديد اتجاهنا الحضاري بالنسبة للثقافات المعاصرة ويكون هذا القسم أيضاً محاولة لعرض التراث القديم لا باعتباره حضارة وجدت في الزمان والمكان مستقلة بذاتها أو منافسة

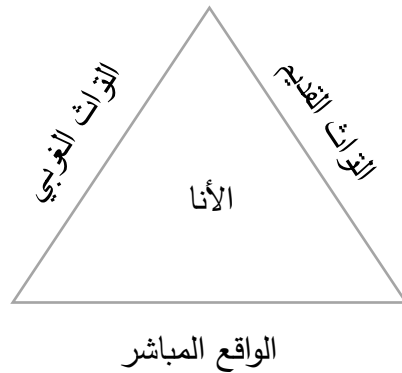
¹ مخطار ديدوش مراد، التراث والتجديد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 02، أبو القاسم سعد الله، ص 04.

² جمعة صباح، الاستغراب، وأهدافه عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 107.

³ حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مصدر سابق، ص 37.

لحضارات أخرى ولكن باعتبارها فكريا مستقلا أو نابعا من أصوله في الوحي أو في أسس العقل أو في بناء الواقع".¹ المقصود بالتفسير هنا هو بناء منهج يمكننا من قيام علوم جديدة بشرط أن تكون هذه العلوم وسيلة تمكننا من فهم الوحي بمعنى (القرآن) بشكل يتوافق مع البشر والواقع الذي نعيش فيه، بحيث أن هذا المنهج لا يكون مقتصر على فهم الدين فقط، بل لفهم كيف نعيش ونتطور في عالم اليوم، كذلك نحاول من خلاله تقديم تراثنا القديم كحضارة حقيقية كان لها زمان ومكان خاص بها، بحيث ننظر له كشيء مستقل نابع من الوحي أو العقل، أو بكونه تراث مرتبط بالواقع الذي كان موجودا حينها.

يرى حسن حنفي أن الجبهات الثلاثة تشير إلى "جدل الأنا والآخر واقع تاريخي محدد. فالجبهة الأولى موقفنا من التراث القديم" تضع الأنا تاريخها الماضي وموروثها الثقافي. والجبهة الثانية "موقفنا من التراث الغربي تضع الأنا في مواجهة الآخر المعاصر وهو الوافد الغربي الثقافي أساسا، والجبهة الثالثة "موقفنا من الواقع نظريه التفسير" فإنها توضع الأنا في نظم واقعنا المباشر".² من خلال هذا نجد حسن حنفي قام بوضع ثلاث جبهات أساسية نجدها أمامنا في تفكيرنا وهويتنا، فالجبهة الأولى تتعلق بعلاقتنا مع ماضينا وتراثنا، بمعنى آخر كيف ننظر إلى تاريخنا وثقافتنا القديمة، وكيف نعيد فهم أنفسنا من خلال هذا الماضي. أما الثانية فتتناول علاقتنا مع الغرب أي كيف نتمكن من مواجهة الثقافة الغربية الحديثة، وكيف نحدد موقفنا منها. أما الأخيرة فهي مرتبطة بالواقع الحالي، بأي طريقة نفسر ما نعيشه اليوم، وكيف نتعامل مع الصعوبات التي نواجهها في الواقع المعاش. فمن هنا يمكن رؤية الجبهات الثلاثة وكأنها أضلاع مثلث والأنا وسطها. ويمكن تمثيلها بمخطط التالي:



وهذا لا يعني أنه يجب تقبل التراث كما هو ولا رفضه بل يقول أننا لا نتمكن من العيش في الحاضر وفهمه إذ قطعنا علاقتنا بالتراث، فلابد من الرجوع له بعقل وقلب نأخذ منه ما ينفعنا ونطور ما يحتاج إلى تطوير.

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 184.

² مصطفى نشار، فلسفة حسن حنفي مقارنة تحليلية نقدية، نيويورك لتوزيع والنشر، ط1، 2017، ص 22.

فالتراث جزء أساسي في فكرنا لا نستطيع الاستغناء عنه فهو منذ القديم يحمل تسلسل التاريخ وما مر به عصرنا، فلا بد من الرجوع إليه والاعتماد عليه فيما يخدم واقعنا أو أفكارنا وتطور ما يجب أن يتطور.

ثانيا: صراع الأنا والآخر في بناء مشروع الاستغراب:

يعتبر الجدل بين مفهومي الأنا والآخر من أبرز القضايا التي أثارت اهتماما واسعا ونقاش عميقا في الفلسفة العربية الإسلامية، وذلك في تشكيل الفكر العربي الإسلامي، كون المشروع نهضوي عربي لا يخلو من هذه الثنائية لأنه يسعى إلى تجديد الإنسان وإصلاح وعيه، خاصة ذلك الذي يتعلق بسؤال الأنا والآخر بهدف تحقيق الذات والابتعاد عن التقليد وخلق روح الاجتهاد.

نجد حسن حنفي وضع مفهوم الأنا والآخر باعتباره عنصر أساسي في مشروع الاستغراب وهذا ما سنتطرق إليه في مبحثنا، وقبل هذا سنقوم بتحديد مفهوم لكل من الأنا والآخر؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ وكيف ساهم في بناء مشروع الاستغراب؟

1. مفهوم الأنا والآخر:

أ. مفهوم الأنا:

- لغة: ورد في لسان العرب اسم مكاني وهو للمتعلم وحده، وإنما يبين على الفتح أن التي هي حرف جر ناصب للفعل. والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف".¹
- اصطلاحا:

إن الأنا عند فلاسفة العرب هي: "الإشارة إلى النفس المدركة، أما في الفلسفة الحديثة تشير كلمة أنا في معناه الفلسفة والأخلاق إلى الشعور الفردي الواقعي وإلى ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة بنسبها إلى نفسه الشخص المفكر".²

وللأنا في الفلسفة الحديثة عدة معاني منها المعنى النفسي والأخلاقي حيث "تشير كلمة أنا" في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي فهي أيضا تطلق على موجود تنسب إليه جميع الأعمال الشعورية".³

¹ ابن منظور لسان العرب، مرجع سابق، ص 88.

² جميل صليبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 140.

³ المرجع نفسه، ص 140.

وعرفها حسن حنفي: "وتعني الذات العرب أو المسلمين"¹، وهنا يشير إلى الأنا أنها العرب أو الذات العربية الإسلامية أي الشرق، وأن هذا المصطلح "الأنا" والآخر تستخدم للتعبير عن الصراع القائم بين الذات والغير.

ب. مفهوم الآخر:

- لغة: قال المتنبي: "ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصانع المحكي والآخر الصدى"². ونفهم من هذا أنها تعني كل ما هو مخالف، أي مثلاً تكون هناك ذات يقابلها أيضاً آخر مخالف له. وجاء في لسان العرب "بمعنى أحد الشيين وهو اسم على أفعال والآخر بمعنى غيره كقولك رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخير فكلماً اجتمعت همزة في حرف واحد استقل فأبدلته الثانية ألف سكونها وانفتاح الأولى قبلها"³.

- اصطلاحاً:

ويرى عمر عبد العلي علام أن "الآخر هو عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية، والفكرية، ينسبها فرد ما إلى الآخرين، وكل تعريف يطلق على الأنا من شأنه أن يطلق على الآخر أيضاً، أي في حالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء مع (أنا الأخرى)، تكون الأخيرة هي الآخر"⁴.

فالآخر يكون ثنائية نفي أو نزاع مع الأنا تختلف باختلاف هذه الثنائية، ويقصد بآخر هنا ليس بشرط أن يكون شخص غربي، بل هو عبارة عن صورة أرسمها في ذهني عن شخص مختلف عني، إن الطريقة التي أرى بها نفسي تؤثر في الطريقة التي أرى بها الآخرين. فإذا كان هناك فرق أو اختلاف بيني وبينهم، فاعتبرهم الآخر، أو أصفهم بصفات معينة من عندي.

أما الآخر بالنسبة لحسن حنفي "فهو الغرب الأوروبي وليس الشرق الآسيوي خاصة اليابان والصين"⁵ ونفهم من هذا أن الآخر هو الغرب والأنا الشرق حسب حنفي.

¹ حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر (إشكالات)، مصر، ط1، 2004، ص 446.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص 08.

³ ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 151.

⁴ عمر عبد العالي علام، الأنا والآخر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 17.

⁵ حسن حنفي، حصار الزمن، مصدر سابق، ص 446.

2. العلاقة بين الأنا والآخر:

"إن الجدل القائم بين الأنا والاستغراب ليس ما رده إلى وجود إشكالية علاقة بين الإثنين فحسب كما هو في فكرنا القديم ويتكرر في فكرنا المعاصر بل يتعدى الأمر ذلك بصورة أنا وصورة الآخر من حيث الدقة والشمول، من حيث الكفاية والنقص، من حيث السلب والإيجاب".¹ فالمشكلة بين الأنا والآخر لا تكمن فقط في الخلاف الموجود بينهم. وهذا الخلاف أو الصراع يعود إلى الصورة التي نرسمها في عقولنا عن أنفسنا وعن الآخرين مما يتسبب هذا وجود نزاع بين الطرفين وهذا يوافق تعريف عمر عبد العلي علام، إذن فالمشكلة ليست في وجود اختلاف بيننا وبين الآخرين، بل هي ناتجة عن طريقة تفكيرنا حول أنفسنا والآخرين وهذا لا ينكر طبيعة الاختلاف الجذري الموجود بين الحضارتين الإسلامية والغربية ويظهر هذا حول طريقة تفكيرهم ونظرتهم إلى الإنسان والعالم". وحدد حسن حنفي طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر على أنها علاقة تضاد لا علاقة تماثل. ويبين هذا في "الخلاف الموجود بين طبيعة الحضارة الإسلامية "الأنا" والحضارة الغربية "الآخر" من حيث الطبيعة في الحضارة الغربية ذات ماهية مسبقة له كما هو الحال في الوعي الإسلامي ولهذا طغى على طابع تفكيرها المنهج التاريخي. حين أن حضارة الأنا الإسلامية ذات طبيعة مركزية ماهوية، ذات ماهية مسبقة، لهذا متمركزة حول رسالتها وعقيدتها الأولى إنها تستنتج علومها من أصول الدين وأصول الفقه والتصوف، حول مركز واحد".²

يرى طه عبد الرحمن أن الخلاف بين "الأنا" و"الآخر" (أي بين الفكر الإسلامي والغربي) هو خلاف في الجذور، حيث أن الفكر الغربي يقوم على طبيعة طردية بمعنى تطورت من خلال رفض المركز (الدين والقيم الثابتة) ويتطور باستمرار دون أساس ثابت لهذا غلب عليه المنهج التاريخي لأن كل شيء يتغير بتغير الزمن.

¹ جيلالي بو بكر، التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي، مشروعه، المجلة الحضارية الثقافة الجزائرية، 2011، ص 57.

² أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر قراءة نقدية في فكر حسن حنفي، مكتبة ديولي السعيد، دار عبد ربه، 1997، ص 166-167.

ثالثا: قراءة حسن حنفي للوعي الغربي من منظور الاستغراب:

سعى حسن حنفي من خلال مشروعه الاستغراب إلى محاولة فهم كيف يفكر الغرب وكيف يرى نفسه هو العالم من حوله، لكن من وجهة نظرنا نحن كعرب ومسلمين وهو يرى أن الغرب ليس دائما محقا أو محايدا في أفكاره، بل أحيانا يقدم نفسه على أنه الأفضل، بينما هو في الحقيقة نتاج سياق تاريخي وثقافي محدد. فمشروع الاستغراب هو طريقة لفهم الغرب وتحليله بدلا من أن نبقي نحن فقط من يتم تحليله ودراسته. "فالتراث الغربي ليس كما هو معروف عادة، تراثا إنسانيا عاما يحتوي على خلاصة التجربة البشرية الطويلة، يورث للإنسانية جمعاء، بل هو فكر بيئي محض، نشأ في ظروف معينة، هي تاريخ الغرب، وهو صدى لهذه الظروف، ويعبر الكتاب الأوروبيون عن أنفسهم عن ذلك بقولهم: فلسفتنا، حضارتنا، موسيقانا، فننا، أدبنا، تاريخنا، بل حتى وديتنا، إلهنا، عند الكتاب الأوروبيون إحساس واضح بأنهم ينتمون إلى حضارة معينة"¹، فالتراث الغربي هنا لا يمثل لنا الخبرة البشرية، بل هو تعبير عن ظروف خاصة عاشها الغرب فقط، مثل الثورة الصناعية، والإصلاح الديني والاستعمار، لهذا ليس من المفروض فرض هذا التراث على باقي شعوب العالم وكأنه النموذج الوحيد. وفيما يخص استخدام المفكرين الغربيين ضمائر التملك هذا دليل على أن ما يقدمونه هو نتاج لثقافتهم وليس نتاجا عالميا، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجدهم يقرون بأن التراث الغربي هو نتاج العلم والمعرفة وهو النموذج الذي يعتمد عليه، وهذا ما دفع بحسن حنفي القيام بدراسته بهدف توعية الإنسان وتخليصه من التبعية الأوروبية. وهذا يظهر في قول حسن حنفي "إن التراث الغربي كان وما زال المنبع والمكون الأساسي للثقافة العربية في نظر حنفي لذا فإنه يسعى إلى آخر موقف صحيح من الغرب. من خلال تحديد العلاقة بين الأنا العربي والآخر الغربي في مقابل الوعي الفكري العربي الإسلامي، وبين أن هذه العلاقة علاقة تضاد واختلاف وليست علاقة تماثل وتشابه.

1. نظرا لتاريخ العقلية الأوروبية الطويل ولما تعودت عليه من توالد المذاهب المتعارضة التي يحكمها قانون الفعل ورد الفعل التوازن وضاع منها التكامل"² بمعنى أن هذا التاريخ العريق أدى إلى خلق نوع من التوازن الفعلي والتكامل القائم على الطاعة العقلانية للنظام وهذا ما نجده في الكتابات الفكرية التي تؤيد هذه الفكرة.

2. "هي عقلية ثنائية تفصل باستمرار بين الجوهر والعرض شرط ومشروط، قبل وبعد قد ظهر ذلك عند كانط وقد وضعت المشاكل باستمرار على هذا النحو هل الزعامة من الفرد أو من المجتمع؟ هل الفكر

¹ حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1990، ص 30-31.

² المصدر نفسه، ص 30-31.

سابق على الواقع أم الواقع سابق على الفكر؟ هل النفس مستقلة عن البدن أم مرتبطة بها؟¹ وهذا يعني أن هناك عقلا فلسفيا عميقا، يتأمل في الثنائيات الكبرى مثل الجوهر والمظهر الشرط والمشروط، الزمان والمكان، الفرد والمجتمع. نجد هذا النوع من العقل في فلسفة كانط كونه يسعى إلى فهم الفكر، من خلال طرح أسئلة وجودية عن النفس والجسد.

3. "نظرا لهذا القلق المستمر والبحث الدائب عن نقطة ثابتة نجد روح التغيير واحدة فكل مذهب جديد يتبع رغبة خالية أم يطور الواقع ويكشف قصور الفكر، فينشأ مذهب جديد لينتج حاجة جديدة وهكذا، فيعد تعرية الواقع من نظرة متكاملة يقدمها الوحي مثلا كان من الصعب تغطيته من جديد بنظرة إنسانية واحدة شاملة وتلم بجوانب الواقع كله".²

نجد أن الفكر الأوروبي في تغيير مستمر من زمن إلى آخر باعتباره فكر غير ثابت وهذا ما يميزه كونه لا يعتمد على فكرة واحدة، فهو لا يطلق فكرة إلا أن يأتي بفكرة أخرى تناقضها أو تلغيها، وهذا ما يجعلنا نطلق عليه فكر متقلب يعيش على التوتر بين المتناقضات، محاولا الجمع بينها.

4. "معظم ما قاله الأوروبيون عن غيرهم لا بد من إعادة النظر فيه لأن معظم الدراسات تعبر عن العقلية الأوروبية أكثر منها دراسات موضوعية، أي أنها موضوعات دارسة وليست دراسة موضوعات كما هو الحال في الاستشراق أو فيما قاله الأوروبيون عما يسمونه المجتمعات البدائية".³ نجد أن الأوروبيين في كتاباتهم عن الشعوب الأخرى لم ينقلوا لنا الحقيقة كما هي، كانوا يعبرون عن رأيهم الشخصي. فبدل القيام بدراسة الشعوب بصدق وفهمها كتبوا عندها من وجهه نظرهم بنوع من التعالي والتفوق فكانوا يتكلمون عن أنفسهم أكثر مما يتكلمون عن غيرهم.

على ضوء هذا الانحراف القيم والاعوجاج المنهجي والتأني عن المقاصد، جاء طه بكتابه "تجديد المنهج في تقويم التراث" كرد علمي ومنهجي للدراسات النقدية للتراث التي وجهها الغرب لنا، داحظا أباطلها وأوهامها، فكان بذلك طلب الحق ودينه حيث يقول "لا جرم إننا نكره الخصومة، لكن الباطل أكره إلينا... لا جرم إننا نحب النصر، لكن الحق أحب إلينا".⁴ فهنا طه عبد الرحمن لا يسعى إلى قيام جدل أو صراع مع الآخر لكنه لا بد من الدفاع عن الحق ومواجهة الباطل واجب عليه فهو لا بد على منتقدي التراث بدافع

¹ حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، مصدر سابق، ص 31.

² المصدر نفسه، ص 31.

³ حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، مصدر سابق، ص 32.

⁴ جمال بروال، نظرية تقويم التراث عند طه عبد الرحمن، مجلة الإحياء، المجلد 22، العدد 30، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، جانفي 2022، ص 1165.

الخصومة أو التعصب، وإنما من أجل البحث عن الحقيقة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي يحملها البعض عن التراث الإسلامي.

فجاء حسن حنفي بمشروع الاستغراب والذي هو الوجه المقابل والمضاد للاستشراق والتطرق للاستغراب يعوج بنا على الاستشراق، فإذا كان الاستشراق يعني دراسة الحضارة العربية فإن الاستغراب دراسة الحضارة الغربية¹. والغاية من مشروع الاستغراب هو دراسة الغرب من منظور غير غربي، فنجد بأن كل من العرب والمسلمون عملوا على تحليل ثقافتهم، وقيمهم وفلسفتهم، وأنظمتهم الاجتماعية والسياسية دون المساس بتراثهم أو تشويبه كما فعل الغرب في دراستهم للشرق "فدراسة الغرب ستختلف عن دراسة الغرب لنا، فنحن حين نريد دراسة الغرب ومؤسساته وهيئاته فأولاً نحن بحاجة إلى الأخذ بأسباب القوة التي وصلوا لها، كما أنه ليس لدينا أي تطلعات استعمارية، ولكننا نهدي فقط إلى فهم طريقة عمل هذه الشركات حتى أصبحت أقوى نفوذاً في الكثير من الحكومات"². فالاستغراب ليس لديه أي غاية سلبية من الغرب فهو فقط يحاول فهم الغرب وتحليله وأخذ منه ما يضمنه وترك ما يعنيه، دون المساس به كما أنه جاء من أجل نفخ الغبار على الأمة العربية الإسلامية من أجل النهوض وقيام علم مستقل في ذاته له أفكاره وثقافته تميزه عن غيره.

رابعاً: دراسة الغرب كوسيلة لإعادة تشكيل الوعي العربي:

جاء الاستغراب كرد فعل على الاستشراق، الذي سعى لدراسة الفكر العربي والحضارة الإسلامية من منظور غربي، وحاول الكثير تشويه صورة هذا الفكرة فظهر الاستغراب كرد الاعتبار للفكر العربي، وذلك بدعم وعي المثقفين العرب بالتميز بينما يمكن الاستفادة منه من الغرب وبين ما يعد خطراً على الهوية والثقافة العربية. بمعنى أن "علم الاستغراب بدأ على نحو تكون فيه الأنا العربية نزيهته من تلوث الاستشراق الاستعماري غير المباشر بعيداً عن مواقف رد الفعل المتمركزة على محور غطرسة الذات نحو فكرة علمي عربي نهضوي همه الوحيد هو مواكبة العالم ودخول التاريخ مع صون الأنا دون ضرر أو إضرار"³.

ومنه فإن الاستغراب جاء كرد فعل على الاستشراق، لأن الاستشراق كان ينظر إلى الغرب والمسلمين من زاوية غربية منحازة، وأحياناً يشوه صورتهم أو يفهم بطريقة خاطئة، فجاء علم الاستغراب كمحاولة من المفكرين العرب لفهم الغرب بطريقة لا لمهاجمته بل للتمييز بين ما يمكن الاستفادة منه وبينما يشكل خطر على الهوية والثقافة العربية فالاستغراب هو عبارة عن تفكير مستقل ونقدي يحاول بناء معرفة عربية نابغة

¹ منال صالح حسين معسكر، الاستغراب، مرجع سابق، ص 525.

² المرجع نفسه، ص 525.

³ عبد الله سيف: ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 36، العدد 05، 2004، ص 321.

من الذات بمعنى داخل فكره يهدف إلى التقدم من دون المساس بهويتها، ودون التأثير بعقدة النقص تجاه الغرب.

يقول حسن حنفي: "بالرغم من انبهار الفكر الإسلامي الحديث بالغرب وأخذه كذا نموذج للتحديث من حيث الصناعة والتعليم والنظم البرلمانية والدستورية والعمران إلا أنه استطاع أن يكون ناقدا للغرب".¹ رغم أن الفكر الإسلامي الحديث تأثر بالحضارة الغربية بشكل كبير وذلك من خلال الصناعة والتعليم والنظام البرلماني والدستوري، إلا أنه لم يكتفي بالتقليد، بل تعامل معه بوعي نقدي، حيث أخذ ما رآه نافعا بمعنى الأدوات الحديثة التي تخدم مجتمعه، دون أن يغفل عن التفاوت بين القيم الغربية والمبادئ الإسلامية فالمفكرون المسلمون رأوا أن الحضارة الغربية، رغم ما حققته من تطور مادي وتقني، إلا أنه من فراغ روحي وأزمة أخلاقية. ونظرا لهذا قاموا ببناء نموذج حضاري يجمع بين التقدم التقني والتمسك بالقيم الإسلامية.

فنجد أن المفكرين المسلمين في العصر الحديث انبهروا بتطور الغرب في شتى المجالات، إلا أنهم لم يقلدوها بشكل أعمى، بل قاموا بدراسته بنظرة نقدية واعية فاهتموا بما يخدم مجتمعاتهم خاصة في المجال العلمي والسياسي، فنجدهم رفضوا ما يتعارض مع القيم الإسلامية وهذا يثبت تمسكهم بعقائدهم وبجانبهم الديني فقد لاحظوا رغم التقدم المادي للغرب إلا أنهم يعانون من أزمة روحية وأخلاقية، فحاولوا من خلال هذا بناء نمط حضاري متوازن يجمع بين الحداثة أو التكنولوجيا وبين الحفاظ على الأخلاق والقيم الإسلامية. فيقول حسن حنفي: "الاعتماد على موقف الحركة الإسلامية الآن من الغرب، في هذا التمايز بين الأنا والآخر، بين الإيمان والكفر، بين الإسلام والجاهلية، بين الله والطاغوت ثم ترشيد العلاقة إلى نقد مستثيرة وتحويل علاقة العداوة بين الأنا والآخر إلى علاقة عالم بمعلوم، ذات بموضوع، دارس بمدرس، راء بمروئي، ملاحظ بملاحظ".²

أما الحضارة الإسلامية فهي تقوم على تبني أفكارها وعلومها على مركز ثابت ألا وهو العقيدة والرسالات الإلهية (الفقه، التصور، أصول الدين) بمعنى أن الغرب تقوم حضارته على التغيير المستمر ورفض المرجعيات، بينما الإسلام يبني حضارته على مرجعية ثابتة تدور حولها جميع العلوم والقيم. هذا يعني أن الحضارة الإسلامية ذات الطابع ديني، بينما الحضارة الغربية تعتمد على الطابع اجتماعي إنساني بمعنى العلاقات الإنسانية.

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 28.

² المصدر نفسه، ص 28.

يمكن القول أن حسن حنفي قام بتقديم الأنا بعكس ما كان يراه الغرب عنها في مشروعه الاستشراق، وهذا بهدف فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر¹، ونفهم من خلال هذا أن حسن حنفي أعاد تعريف الذات العربية الإسلامية من وجهة نظرها الخاصة لا كما صورها الغرب على أنها متخلفة غارقة في الماضي ومنغلقة على نفسها، فنجد حنفي يهدف إلى إعادة للأنا كرامتها ودورها في التاريخ، لا أن تظل تابعة للآخر، فعلم الاستغراب يسعى إلى إعادة وعي الذات من سيطرة الغرب وذلك من خلال نقد صورة الشرق كما رسمها المستشرقون، وإعادة بناء علاقة متوازنة بين الأنا والآخر لا على التفوق والاستصغار وكذلك يطمح إلى تخليص الوعي العربي من مركب النقص وتفكيك مركب العظمة عند الغرب، وذلك من خلال مراجعة الذات لذاتها، وتعيد النظر في الآخر من موقع القوة والمعرفة.

وهذا ليس بهدف تدمير بالثقافة الغربية بل من أجل التطلع على عناصرها ومكوناتها الأساسية وردّها إلى أصلها فيقول: "إن الاستغراب فأنا محايد لا يعني السيطرة وإنما يعني التحرر، ولا يريد تشويه ثقافات الآخر، وإنما أراد معرفة تكوينها وبنيتها".² فالاستغراب ليس بهدف الهجوم أو السيطرة على الغرب بل من أجل أن نعرف أنفسنا للآخر، لا كما يقدمه لنا هو فنكون أحرار في التفكير، فهو يهدف إلى دراسة الغرب لا تشويه ثقافتنا، فهو يسعى إلى الفهم والمعرفة تكوينها. وبمعنى آخر فالاستغراب هو محاولة فهم الغرب بعقلية مستقلة، دون إكراه أو تقليد. فمهمته فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي وذلك بتحويله من ذات دراسة إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دراسة".³ ونفهم من هذا أن في الماضي كان الغرب دائما هو الذي يكتب ويفكر فينا ويحللنا ونحن كنا مجرد متلقى لهذه الدراسات، فهذا ما مكن الغرب من رؤية نفسه بأنه الأقوى والأعظم، ونحن مركب النقص في حين أصبح ينظر إلينا بنظرة تعالي، ولكي نتخلص من هذا الوضع لابد من تحويل الآخر إلى موضوع دراسة وهذا ما سعى إليه حسن حنفي في طرحه لمشروع الاستغراب وهي دراسة الغرب بنظرة شرقية، وعند تحويل الآخر إلى موضوع دراسة سيزول الانهيار والتبعية التي لا تركز على تبرير علمي، ويحل محلها النقد والتحليل والبرهان العلمي لدراسة الحضارة الغربية، وبهذا يعود الشعور اللا أوروبي إلى وضعه الطبيعي، ويتوجه المفكر إلى متطلبات واقعه وتحليلها تحليلًا دقيقًا،

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، ص 29.

² المصدر نفسه، ص 31.

³ المصدر نفسه، ص 29.

وهذا ما يمكنه من أخذ مواقف وإيجاد حلول تكون مناسبة لواقعه بعيدا عن التبعية العمياء، ولن يكون ذلك إلا بدراسة الفلسفة الأوروبية في حدود بيئتها، وفي ظروفها التاريخية".¹

ف نجد البعض يدرس الغرب بتبعية عمياء لأفكارهم ومعارفهم دون فهمها وتحليلها. هذا يجعلهم يبتعدون عن فهم واقعهم الحقيقي لذلك يدعو حسن حنفي إلى التفكير بأنفسنا وفهم مشاكلنا بشكل أعمق، لكي نتمكن من دراسة الغرب بشكل صحيح وفهمه في سياقه الخاص، وأخذ منه ما يناسبنا ونبعد ما لا يصلح لبيئتنا ومجتمعنا. بهذه الطريقة يمكن أن نحقق الاستقلال في تفكيرنا ونسعى إلى إيجاد حلول مناسبة لنا وليس بما يفرضه علينا الآخرون.

وهذا ما دعى إليه حسن حنفي من أجل نجاح مشروعه الفكري هو إرجاع الغرب إلى حدوده الطبيعية ودراستها دراسة نقدية وتحليلها وأخذ ما يفيدنا وترك ما لا يعيننا.

"إن نشأ الاستغراب لمنح الأنا القدرة على دراسة الآخر وتحويله إلى موضوع خاضع للتقييم والتقدير، دون الشعور بنقص اتجاهه، أو ضعف أمام إنجازاته أو تضاعل أمام معطياته"². ومنه يمكن القول أن الأنا وصلت إلى مرحلة من الوعي والثقة جعلتها قادرة على التعامل مع الآخر من موقع الندية لا التبعية، فهي لم تعد ترى الآخر كمصدر تهديد أو تفوق، بل كموضوع يمكن دراسته وفهمه وتقييمه بعقلانية وموضوعية وهذا يعني أن الذات أصبحت تملك أدوات فكرية وثقافية مما لها القدرة على تحليل الاختلافات الحضارية أو الثقافية دون الشعور بالنقص.

لعب الاستغراب دورا كبيرا في إعادة تشكيل الوعي العربي، حيث ساهم في تحريره من الهيمنة الأوروبية التي سيطرت عليه في الساحة العالمية، مما أدى إلى تطور الحضارة العربية، إضافة إلى ذلك العمل على تصحيح صورتها المشوهة التي تم رسمها عنها فنتجت عنه مجموعة من الآثار على المستوى الوطني العربي تمثلت في:

- "السيطرة على الوعي الأوروبي أي احتوائه بداية ونهاية نشأة وتكوينه وبالتالي يقل إرهابه لأنه ليس الوعي الذي يقهر فيتحوّل الدارس إلى مدروس والذات إلى موضوع ولا نصبح فيه ضائعين"³ وذلك من خلال إرجاع الفكر الأوروبي إلى طبيعته وذلك بجعله منحصرا في الحضارة الغربية وتحرير العالم من سيطرته.

¹ جميلة بسو، مفهوم الاستغراب عند حسن حنفي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2022، ص 373.

² محمد سالم. سعد الله، نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 53.

³ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المصدر السابق، ص 56.

- "دراسة الوعي الأوروبي على أنه تاريخ التاريخ"¹ أي دراسة الوعي الأوروبي ومعرفة كيفية التعامل معه، من خلال دراسته وفق الأحداث التاريخية دون الخروج عن التاريخ.
- "القضاء على أسطورة الثقافة العالمية واكتشاف خصوصيات الشعوب"² فرض الاحترام على جميع الثقافات والخصوصيات لكل منهم، وجعل كل فكر يسير وفق مجاله الخاص.
- "رد الغرب إلى حدوده الطبيعية وإنهاء الغزو الثقافي وإيقاف نعرف هذا المد الذي لا حدود له وإرجاع الفلسفة الأوروبية إلى بيئتها المجالية التي نشأت منها"³ فهنا نجد أن المفكرين العرب قاموا بإعادة الفكر الغربي إلى حده وعدم تجاوز حدوده.
- "إفساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب الغير الأوروبية وتحررها من هذا العطاء الذهني وهذه البنية العقلية، حتى تفكر الشعوب بعقلياتها الخاصة"⁴ نجد أن الاستغراب أتاح مجالاً للإبداع لدى الشعوب غير الأوروبية. وذلك عن طريق تخلصها من الفكرة الغربي، بتشجيعها على إنشاء معارف خاصة بها، انطلاقاً من بنيتها العقلية وهويتها الثقافية المتميزة.
- "القضاء على عقدة النقص لدى الشعوب الغير الأوروبية بالنسبة للغرب وقيامها بإبداعها الخلاق بدل أن تكون مستهلكة للثقافة والعلم والفن بل وتصير قادرة على التفوق على غيرها. وقد يتحول هذا النقص إلى عظمة يساعد على الخلق والإبداع".⁵ بمعنى أن الشعوب الغير الأوروبية كانت تعاني من عقدة النقص حيث جاء الاستغراب للقضاء على هذا النقص من خلال خلق روح العظمة والإبداع، وهذا ما يجعلها قادرة على التفوق على الآخر.
- "إعادة كتابة التاريخ بما يحقق أكبر قدر من المساواة في حق الشعوب بدلاً من النهب الأوروبي لثقافات العالم".⁶

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المصدر السابق، ص 56.

² المصدر نفسه، ص 56.

³ المصدر نفسه، ص 51.

⁴ المصدر نفسه، ص 1.

⁵ المصدر نفسه، ص 52.

⁶ المصدر نفسه، ص 52.

- "بداية فلسفة جديدة للتاريخ، بداية من ربح الشرق، اكتشاف الدوائر الحضارية وقانون تطورها أشمل وأعم من البيئة الأوروبية"¹ قيام فلسفة جديدة للتاريخ مستقلة لها دوائرها الحضارية ولها قوانين أشمل وأعم من البيئة الأوروبية.
- "انتهاء الاستشراق وتحول حضارات الشرق من الموضوع إلى الذات ومن أحجار إلى شعوب وتصحيح الأحكام التي ألقاها الوعي الأوروبي على حضارات الشرق"² هذا التحول يعني أن الشرق لم يعد أداة في كتب المستشرقين، أصبح طرفا يقوم بها بتصحيح الأخطاء التي نشأ عليها الوعي الأوروبي اتجاهه، في حين أصبح يقدم نظريته الذاتية عن تاريخه وثقافته.
- "إنشاء علم الاستغراب كعلم دقيق بعد أن ظهرت ارهاصاته لدى جيلنا ودون أن تتحول إلى علم، وتحويل الحضارة الأوروبية أيضا من دراسة موضوع إلى موضوع دراسة"³ بمعنى أن علم الاستغراب هو دراسة الحضارة الغربية من وجهة نظر غير غربية، وذلك داخل العالم الإسلامي، حيث نجد أن بعض المفكرين أصبحوا يتعاملون كموضوع للدراسة والنقد، مثل ما يفعل الغرب في دراسته لحضارتنا.
- "تكوين الباحثين الوطنيين الذين يدرسون حضاراتهم الخاصة من منظور وطني، وحضارة الغير بطريقة أكثر حيادا وإنصافا مما فعل الغرب مع غيره"⁴ يمكن القول أن الهدف من هذا هو خلق وعي علمي متوازن لدى الباحث، يربط بين الافتخار بالذات والاطلاع على الآخر، دون النظر إلى الآخر بتعال أو تحيز.
- "بداية جيل جديد من المفكرين بعد جيل الرواد الأوائل في عصر النهضة يمكن أن نسميهم فلاسفة بدلا من هذا الصخب الدائر. والضجيج المسموع حول سؤال: هل لدينا فلاسفة؟"⁵ ومن هنا يتم الدعوة إلى تجاوز الشك والتقليل من الذات، والإقرار بأن هناك فعلا مفكرين من هذا الجيل يطلق عليهم "فلاسفة". ولابد من دعم هذا الحراك الفكري الجديد والاعتراف بقيمته.
- "وقد ينتج عن علم الاستغراب أخيرا أن تشهد الإنسانية عصرا جديدا يختفي منه داء العنصرية الدفين الذي نشأ إبان تكون الوعي الأوروبي حتى أصبح جزءا من بيئته"⁶ بمعنى أنه قد يحدث تحولا عالميا في

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المصدر السابق، ص 53.

² المصدر نفسه، ص 53.

³ المصدر نفسه، ص 54.

⁴ المصدر نفسه، ص 55.

⁵ المصدر نفسه، ص 55.

⁶ المصدر نفسه، ص 56.

"علم الاستغراب" يجعل الإنسانية تتخلص من العنصرية المتواجدة في الفكر الغربي والتي نشأت منذ أن أصبح الغرب يرى نفسه متفوقا على باقي الشعوب.

نجد حسن حنفي في دراسته وخاصة في علم الاستغراب يسلط الضوء على الوعي بالحضارة العربية ويهدف إلى الارتقاء بهذا الفكر ليصل إلى أعلى المراتب. كما يسعى لأن يكون هذا الوعي متيقنا لما يجري حوله، قادرا على الإبداع في شتى المجالات. من خلال ذلك يريد أن ينمي ثقة الإنسان العربي بنفسه، وذلك من خلال إرجاع مكانة العقل العربي وتشجيعه على الاعتماد على العقل والتحليل المنطقي. "إن جوهر المبرر الذي دفع المفكر حسن حنفي لتأليف كتابه الشهير مقدمة في علم الاستغراب، كان سعيا منه لتأسيس مرجعية إسلامية كبوتقة تظهر فيه الإبداعات العربية، برؤية عقلية وبنزعة واثقة تتطلع إلى عرض الذات بصورة حضارية أمام الآخر كبداء في إثباتها عالميا كذات فاعلة ومؤثرة في القرار العالمي، وذلك بدخول التاريخ ومواكبة العالم في صيرورته بالتغريب على خصال الشعوب وامتيازاته".¹

كذلك نجد أن حسن حنفي وضع بعض مهامه لعلم الاستغراب والتي سوف يتم ذكرها في العديد من

النقاط:

- "مهمة علم الاستغراب هو القضاء على المركزية الأوروبية، بيان كيف أخذ الوعي الأوروبي مركز الصدارة عبر التاريخ الحديث".²
- "مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية بعد أن انتشر خارج حدوده إبان عنفوانه الاستعماري من خلال سيطرته على أجهزة الإعلام وهيمنتها على وكالات الأنباء".³
- مهمته القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي يتوحد بها الغرب ويجعلها مرادفا لثقافته، وهي الثقافة التي وجبت تبنيها كل الشعوب من أجل الانتقال من التقليد إلى الحداثة".⁴
- "مهمة علم الاستغراب هو إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوروبي والكفة المرجوحة للوعي اللا أوروبي. ف طالما أن الكفتين غير معادلتين سيظل الوعي الأوروبي هو الذي يمد الثقافة الإنسانية بنتائجه الفكري والعلم وكأنه هو النمط الوحيد للإنتاج".⁵

¹ عبد الله سيف، ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 324.

² حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 36.

³ المصدر نفسه، ص 36.

⁴ المصدر نفسه، ص 36.

⁵ المصدر نفسه، ص 38.

نجد حسن حنفي هنا ينتقد سيطرة الثقافة الأوروبية على المشهد الفكري والعلمي، في علم الاستغراب إلى نقد هذا الوضع من أجل رد اعتبار الثقافات كمصادر شرعية ومهمة للمعرفة والإبداع، من أجل خلق التوازن والعدالة الثقافية.

ومن هنا يمكن القول أن مشروع الاستغراب لعب دورا مهما في إعادة بناء الوعي العربي، وذلك عن طريق تخليصه من التبعية الثقافية، واستعادته لمرجعياته الذاتية. لقد أعاد للوعي العربي ثقته بنفسه، مما جعله يقف في وجه الفكر الأوروبي. مساهما في تشكيل الثقافة الإنسانية لا التبعية.

لقد ساهم علم الاستغراب بشكل فعال في ترسيخ الهوية والوعي العربي ضمن الثقافة العالمية، وذلك عن طريق الحد من حالة الاغتراب الثقافي وإعادة الوعي العربي مكانته كمكون أساسي في المنظومة الحضارية العالمية. فقد أصبح هذا الوعي قائما بذاته، وذلك وفق الجهود التي بذلها علم الاستغراب في تعزيز أسس النهوض الثقافي والمعرفي. مما صار لديه الفرصة لإثبات وجوده. مع المحافظة على الاختلاف الثقافي الإنساني.

خلاصة:

يعرض الفصل فكر حسن حنفي من خلال محورين مترابطين: الرؤية التجديدية للتراث ومشروع الاستغراب. يرى حنفي أن التجديد لا يعني القطيعة مع التراث، بل إعادة قراءته في ضوء حاجات العصر، وذلك عبر منهج مزدوج: الاهتمام بالبعد التاريخي والنقدي للتراث، إلى جانب توظيفه لخدمة الحاضر. يركّز على ما يسميه "الوعي الاستردادي"، أي استرداد القدرة على التفكير من داخل التراث لا من خارجه. أما مشروع الاستغراب، فهو يمثل الجانب الآخر من المعادلة، ويهدف إلى تفكيك الخطاب الغربي المهيمن، وإعادة التوازن إلى العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب. فبدل أن يكون الغرب هو المفسّر والدارس، يدعو حنفي لأن يكون العالم الإسلامي هو من يقرأ ويفكّك الغرب، لفهم منطق تفوقه وتقنياته، لكن أيضًا لنقد مركزيته ونزعتة الاستعمارية.

الفصل يؤكد على أن الجمع بين تجديد الداخل (التراث) وتفكيك الخارج (الاستغراب) هو ما يشكل مشروع النهضة الحقيقي عند حسن حنفي، حيث لا يمكن أن يتم النهوض الحضاري دون نقد الذات ونقد الآخر في آنٍ معًا.

الفصل الثالث: قراءة

تقييمية نقدية

لمشروع الاستغراب

المشروع الاستغراب

تمهيد:

عرض حسن حنفي فكرة "الاستغراب" كجزء من مشروعه الفكري، بهدف فهم الغرب من وجهة نظرنا نحن كعرب ومسلمين، بدلاً من أن نظل موضوعاً للدراسة من قبل الغرب. هذه الفكرة أثارت اختلاف في الآراء، فبعض الناس رأوا أنها فكرة قوية تساعد على بناء فكر مستقل، بينما اعتبرها آخرون غير واضحة أو غير واقعية. ومن هنا ظهرت انتقادات مختلفة لمشروعه، وتعددت المواقف بين مؤيدين ومخالفين، مما يعكس الجدل الكبير حول هذا المشروع.

أولاً: تضارب وجهات النظر بين مؤيدين ومفنديين:

أ. المؤيدين:

يتمتع مشروع الاستغراب عند حسن حنفي بأهمية الفكر العربي المعاصر كونه جاء من أجل الموازين في الفكر العربي من خلال معادلة الطبيعية الثقافية عبر دراسة الغرب من وجهة نظر عربية إسلامية، وقد لقي هذا المشروع صدى إيجابياً لدى العديد من المفكرين ومن بينهم مصطفى النشار ومحمد عابد الجابري.

- مصطفى النشار (30 سبتمبر 1953-....):

يرى مصطفى النشار* أن الجانب الثاني المهم في مشروع حسن حنفي هو موقفه من الغرب والذي طرحه في كتابه "مقدمة في علم الاستغراب"، وقد حقق هذا الجانب نجاحاً ملحوظاً ويظهر هذا في قوله: "حيث نجح حسن حنفي في الكشف عن معوقات الإبداع التي فرضها الفكر العربي بصورة واضحة على الآخر أي "الأنا".¹ يرى مصطفى النشار أن حسن حنفي استطاع أن يظهر العوامل التي تعيق الإبداع والتجديد في الثقافة والفكر العربي، ويقصد بهذا أن بعض مفاهيم وتقاليد الفكر العربي القديم أصبحت تستخدم اليوم بشكل غير صحيح أو غير مناسب، وهذا ما يؤدي إلى عرقلة التطور ويؤكد الجمود. حيث يمكننا ذكر بعض المعوقات "الكم الهائل من المعلومات التي على الأنا معرفتها من الآخر الأوروبي والتي على الوعي المستهلك أن يعرفه من الوعي المنتج مما يضيق عمر المبدع عن الإحاطة به واستيعابه".² نفهم من خلال هذا أن المبدع الحقيقي لا يكتفي باستنزاف المعرفة فقط فلا بد من خلق روح الإبداع ولا بد من أن يكون لنا وعي للأفكار التي نأخذها وإن لم يكن كذلك فقد يؤدي ذلك إلى الضياع بسبب الإفراط في التقليد أو بسبب الأفكار التي تكون نابعة من الآخر، ويقول أيضاً: "كما أن حسن حنفي في هذه الجبهة الثانية من مشروعه قد نجح في محاولة بناء أسس علم جديد يواجه به الأنا الآخر حيث يتحول هذا الآخر إلى موضوع للدراسة والفحص والنقد ومن ثم يمكن تحجيم تأثيره على الأنا، إذ أن من نتائج علم الاستغراب أننا سنبذل القدرة على السيطرة على الوعي الأوروبي واحتوائه بدراسته على أنه تاريخ وليس خارج التاريخ حيث أنه سيصبح أحد مسارات الحضارة الإنسانية وليس المسار الحضاري الأوحده. من ثم يمكن رد الغرب

* مصطفى النشار (30 سبتمبر 1953)، مفكر وفيلسوف مصري معاصر، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ورئيس الجمعية الفلسفية المصرية.

¹ مصطفى النشار، فلسفة حسن حنفي، مقاربة نقدية، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص 54.

² المرجع نفسه، ص 54.

إلى حدوده الطبيعية وإيقاف هذا المد الذي يسعى إليها الغربيون بلا حدود".¹ هنا نجد مصطفى النشار يشير إلى أن حسن حنفي قد نجح في بناء اتجاه جديد داخل مشروعه الفكري، هدفه مواجهة الثقافة الغربية بمعنى الآخر بطريقة نقدية وعلمية. فبدلاً من الانبهار بالغرب أو رفضه بالكامل، دعا حنفي إلى دراسة الفكر الغربي كجزء من التاريخ، وليس كشيء متفوق عن التاريخ. فهذا ما يضعف من تأثير الثقافة الغربية ويقلل من سيطرتها بحيث تصبح مجرد تجربة من تجارب الحضارة لا النموذج الوحيد لها. ومن خلال هذا يمكن إعادة التوازن، ومنع التوسع الثقافي الغربي الذي يحاول فرض نفسه دون توقف.

"مضى حسن حنفي يكشف عن الصورة القبيحة التي لدى الغرب عن الشرق العربي الإسلامي ومن ثم حقله ولنا أن ننتقد هذه الصورة الشائعة التي وضعها الغرب في إطارها".² كان حسن حنفي يعمل على كشف الصورة السلبية والمشوهة التي رسمها الغرب عن العالم العربي والإسلامي، وهي صورة مليئة بالأفكار المسبقة والاتهامات ومن خلال هذا الكشف، أصبح من حقه ومن حقنا أن نوجه النقد للنظرة الغربية لأنها لا تعكس الحقيقة، بل جاءت نتيجة تاريخ طويل من السيطرة والتفوق الاستعماري.

ومن خلال هذا تظهر لنا رؤية مصطفى النشار لحسن حنفي بأنه مفكر بارز سعى إلى بناء مشروع فكري متكامل من أجل مواجهة سيطرة الغرب من الجانب الثقافي والفكري وذلك باستعمال النقد على صورة الشرق في الوعي الغربي.

وذلك من أجل إعادة الاعتبار للفكر العربي الإسلامي، كما نجده يمدح بجهود حنفي في تحويل الغرب إلى موضوع للدراسة والنقد لا مجرد مصدر للمعرفة. وهذا يعتبر شيء ضروري لتحرير الوعي العربي من التبعية وقيام نهضة فكرية مستقلة بذاتها لا تابعه للآخر، فكان من أبرز المؤيدين والمشجعين لحسن حنفي ولمشروعه.

- محمد عابد الجابري:

يتوافق كل من حسن حنفي ومحمد عابد الجابري في الكثير من النقاط الفكرية، كون وجه اهتمامهم بنفس القضايا التي تشغل العالم العربي، وكان الهدف من هذه الدراسات معالجة هذه الهموم، وقد أولى كلاهما هذه القضايا اهتماماً بالغاً، ويظهر ذلك في العديد من النقاط التي تربط بهم. "لقد انشغل الجابري والحنفي بـهموم الوطن العربي، واجتهد في تشخيص أعراضه وساهم في تقاربهما نبل الهدف وأساس الرؤية التي ينطلقان منها وكلاهما ممن عنا بدراسة التراث العربي الإسلامي دراسة مستفيضة إلى جانب تحليله

¹ مصطفى النشار، فلسفة حسن حنفي، مقارنة نقدية، المرجع السابق، ص 55.

² المرجع نفسه، ص 57.

ونقده¹. نجد أن كل من الجابر وحسن حنفي كانوا منشغلين بالقضايا والمشكلات التي تواجه العالم العربي فحاولوا تفسير هذه الأزمات ووجود حلول لها وقد ربط بينهم تشابه في الأهداف، كان يسعيان إلى قيام الأمة وما جعلهم من بعضهم نظرتهم وتفكيرهم للتراث الإسلامي، فهم لم يتعاملوا مع التراث بشكل تقليدي، بل ثم دراسة كل منهما بعقل نقد، من أجل فهمه وتحديثه ليتماشى مع عصره. "وأطل في الوقت نفسه على الفكر الغربي المعاصر والحديث ومناهجه كما أن كلا منهما أقدم على تأسيس مشروع تراشي جاعلا من مشروعه محاولة لتشخيص الماضي وفهمه في ضوء قراءة جديدة، وفي الوقت نفسه عمل على توظيف هذا التراث توظيفا جيدا يمكن الأمة العربية من الدخول في التحديات الأساسية في العصر"². فالجابري والحنفي لم يهتم فقط بالتراث العربي الإسلامي، كذلك وجهة نظرتهم إلى الفكر الغربي الحديث وتعرفا على مناهجه وأفكاره كوسيلة لفهم التراث بوجهة نظر مختلفة عن الفهم التقليدي. كما أن لكل منهم مشروعه الفكري يهدف من خلاله إلى فهم الماضي بشكل أعمق، من أجل الاستفادة منه في الحاضر. وهذا ما يتوافق مع قول الجابري "فقد شكل ظهور الهيمنة الحضارية الغربية هزة في ثقافتنا العربية فولدت لدينا حديثا عن التراث والأصالة والحداثة والتقليد، وجعلت من ثقافتنا العربية ثقافة هامشية غريبة عن الحضارة والأصالة وفرضت علينا ألوانها وأشكالها وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى تأثير الحضارة الغربية على الحضارة العربية الإسلامية والتي كادت أن تفقد هويتها وتضمحل وتتلاشى بسبب هذا التأثير"³.

فالجابري هنا يتحدث عن تأثير الحضارة الغربية على العالم العربي، هذا التأثير جعل الثقافة العربية تفقد مكانتها وتشعر بالضعف، فبدأ العرب بالحديث عن التراث والهوية والحداثة لأنهم شعروا بأنهم محددون بفقدان ذاته. فهذه النقطة كانت الفطنة بالنسب لهم أو نقطة البداية وهذا ما جعل كل من الجابري وحسن حنفي يتفقان على ضرورة التحرر من سيطرة الغرب وجعله ذات مدروسة بعد أن كان ذات دراسة، حيث يقول: "ينبغي إعادة كتابة تاريخنا ثقافي بصورة عقلانية وبروح نقدية... والتعامل مع تراثنا العقلاني النقدي مع تراثنا يتوقف على مدى ما توظفه بنجاح من المفاهيم والمناهج العلمية المعاصرة"⁴. يرى الجابري أن التأثير القوي للحضارة الغربية على العالم العربي أدى إلى اهتزاز في الهوية والثقافة العربية، لذا لابد من

¹ علي رحومة سحنون، إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر - دراسة تحليلية مقارنة، بين محمد عابد الجابري وحسن حنفي أنموذجا-، شركة الجلال للطباعة، الاسكندرية، 2007، ص 239.

² المرجع نفسه، ص 239.

³ عوداش فتيحة، منهجية محمد عابد الجابري في قراءته للتراث العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 312.

⁴ حسن حنفي وآخرون، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، أعمال الندوة الخامسة عشر التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 20.

إعادة النظر في تاريخنا الثقافي. وذلك بطريقة عقلانية وبروح نقدية أي الاعتماد على العقل والنقل في كتابتنا، أو بمعنى آخر أن نفهمه فهما منطقيا، ونتعامل معه بوعي، لا بعاطفة وتقليد، ومن جهة أخرى نجد الجابري يركز على أهمية المفاهيم والمناهج العلمية لكي يساعدنا في بناء جديد لتراثنا وهويتنا. في الحفاظ على الهوية لا يكون بالرفض والانغلاق، وإنما بنظرة نقدية، وهنا يدعون الجابري إلى الانفتاح عن الآخر لكن بما يخدمنا دون الغرق في ثقافته، وهذا أيضا ما ذهب إليه الحنفي فهو يرى "أن الممارسة النقدية ضرورية في جميع مجالات حقول المعرفة وقد مارس المفكر النقد في فلسفته بشكل عام فانقد الفكر العربي المعاصر والتراث القديم والتراث الغربي، فالنقد لا يتوقف إلا وقع الفكر في القطيعة ووحد بين الجوهر وأحد أعراضه بين المضمون وأحد أشكاله، بين الجذع وأحد أوراقه، لكن النقد يجلس صدى ويزيل الغبار ولا يقضي على ما يعلوه الصدا أو ما تراكم عليه الغبار. النقد عملية تجديد مستمرة من أجل مواكبة الزمن ومظاهر التغيير".¹ نفهم من هذا أن حنفي يبرز أهمية النقد في فكره، كونه شيء ضروري في جميع مجالات الفكر، فهو لا يقف مع جانب ضد الآخر، بل يحاول الجمع بينهم من خلال نقد عقلاني يساعد على الفهم والتجديد.

فالنقد بالنسبة له هو عملية تصحيح وتوضيح، فبه يزيل الغبار عن الحقائق ويكشف التناقضات. وبناء على هذا فإن كل من الجابري وحسن حنفي يهدفان إلى تخليص الإنسان العربي من التقليد والتبعية للآخر الغربي، فلقد سبق الحنفي في نقده للعقل العربي وتحليله من خلال كتابه "مقدمة في علم الاستغراب".² ومنه يمكن القول أن كل من محمد عابد الجابري ومصطفى النشار يتفقان على أن حسن حنفي مفكر مجدد ومؤثر في مشروع النهضة العربية الحديثة. فنجد الجابري أيد حسن حنفي من حيث محاولته لإعادة قراءة التراث العربي الإسلامي قراءة نقدية معاصرة تعيد بناء العقل العربي على أسس عقلانية.

"بينما فيما يخص إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، فهي إشكالية نظرية يميل استقلالها النسبي عن الواقع نحو المائة في المائة وهي لا تقبل الحل إلا بتجاوزها".³ يقصد الجابري أن مشكلة الأصالة والمعاصرة في فكر العرب ليست ناتجة عن الواقع، بل ناتجة عن الطريقة التي نفكر بها، ولا يمكن حل هذه المشكلة بالجمع بينهم، ولحلها لابد من تجاوز هذه الإشكالية، من خلال تغيير طريقة تفكيرنا بإنتاج فكر جديد يتعامل مع التراث والحداثة بطريقة نقدية وواعية بدلا من الوقوع في الصراع

¹ حسن حنفي وآخرون، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، المرجع السابق، ص 21.

² علي رحومة سحنون، إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 256.

³ محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، لبنان، 1990، ص 15.

بينهما وهذا يتماشى مع مشروع الجابري العام في نقد العقل العربي الذي يسعى فيه إلى تفكيك العقلية المتوازنة وبناء معرفة حديثة تنطلق من الواقع العربي لكنها منفتحة على العصر. وهذا ما طرحه محمد أركون* (1928-2010) من خلال مشروعه الذي يعد من أبرز المشاريع الطامحة إلى نقد العقل العربي الإسلامي على غرار المقاربة الجابرية، مستعينا في ذلك على شبكة من المناهج المعاصرة التي جاءت الحداثة الغربية، من مناهج ذات بعد إجرائي ميداني فأركون يسعى إلى إثبات تاريخية العقل العربي الإسلامي بالكشف والتعرية عن مكوناتها.¹

هذا عكس ما رأى حسن حنفي، ففي نظره لا بد من الربط بين الأصالة والمعاصرة ولا يوجد حرج في ذلك.

وهنا يظهر تضارب الآراء بين كل من محمد عابد الجابري وحسن حنفي إلا أن الهدف واحد. وبعدما تم عرضه من آراء المؤيدين لحسن حنفي لا بد من التعرض لآراء المعارضين ومن بينهم علي حرب وطيب تيزيني.

ب. المفندين:

لم يمر مشروع الاستغراب الذي طرحه حسن حنفي دون مواجهة جملة من الانتقادات من طرف المفكرين العرب ومن أبرزهم علي حرب الذي يرى أن المشروع عبارة عن تقليد عكسي للاستشراق وذلك لإعادة الجمع بين الشرق والغرب ومن جهة أخرى يجد الطيب تيزيني أن هذا المشروع يفقد إلى أسس منهجية صارمة في حين أنه يركز على الآخر بدل من معالجة المشاكل المتركمة داخله.

- علي حرب (1941-...):

نجد علي حرب* من خلال كتابه نقد النص وضع الكثير من النصوص التي تحمل نقدا للمفكر المصري حسن الحنفي ويظهر ذلك في نقله لمشروعه ثلاث جبهات، وهو مشروع التراث والتجديد، بحيث يقول "والمحارب يحارب على أكثر من جبهة. من هنا فإن حسن حنفي لم ينتظر الانتهاء من الحرب على

* محمد أركون (1928-2010) مفكر ومؤرخ جزائري فرانكفوني يعد من أبرز أعلام الفكر العربي الإسلامي الحديث، واشتهر بمشروعه في نقد العقل الإسلامي وسعيه إلى قراءة جدية في التراث الإسلامي بمنظور علمي وإسلامي حديث.

¹ خلاف بن إيديري، الحداثة في فكر محمد أركون، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 12، العدد 03، جامعة عبد الرحمن ميرا بجاية، الجزائر، 2024، ص 09.

* علي حرب (1941)، كاتب ومفكر وفيلسوف لبناني، له العديد من المؤلفات والمقالات، ويعرف عنه أسلوبه الكتابي الرشيق وحلاوة العبارة، كما أنه شديد التأثير بجاك دريدا وخاصة في منهجه في التفكير، ولقد اعتمد كتابه نقد النص موقفا دراسيا في جامعة باريس، فهو يتبع منهج كانط في نقد العقل وآليته وبنية الفكرية.

الجهة الأولى، موقف من التراث والتجديد بل فتح النار على الجهة الثانية، موقف من التراث الغربي، ليس هذا فحسب بل اعتبر أيضا أن البيان النظري لهذه الجهة قد يغني عن الأجزاء الثلاث. وكأنه خشيا أن لا يتمكن من إنجاز ما يريد إنجاز، بسبب اتساع الأجزاء وعدم اتساع العمر".¹ ويرى علي حرب هنا أن حسن حنفي في مشروعه الكبير لتجديد التراث لم يهتم بجانب واحد فقط بل اهتم على أكثر من موضوع في نفس الوقت، بحيث شبه نفسه بالمحارب الذي يحارب في أكثر من معركة معا فبدأ بكتابة التراث العربي وفي نفس الوقت بدأ يواجه التراث الغربي وينتقد أفكاره وقال أن هذا البيان ممكن أن يعنى عن باقي التفاصيل كون أن المشروع كبير ولا يمكن أن يكفيه عمر فهذا علي حرب يرى أنه كان عليه أن يهتم بالجهة الأولى وشرحها وعند الانتهاء منها يبدأ في الثانية، وأما بالنسبة للبيان فإنه يرى أنه قد ظلم مشروعه لأنه لخصه، وهذا قد يغيب فيه الكثير من الأفكار المهمة فعلي حرب يقدر هذا العمل لكن من جهة أخرى يشير إلى أنه مشروع ضخم جدا وربما صعب التحقيق كونه حاول جمع كل شيء وتطبيقه دفعة واحدة، وهذا قد يتجاوز عمره المحدود مما خلق عنده هاجس العمر "وقصر العمر يشكل هاجسا لدى حسن حنفي يهجم به منذ بدأ التفكير بمشروع التراث والتجديد قبل ربع قرون خصوصا أنه بعد أن بدأ في تنفيذه، وقد قوى هذا الهاجس مع تقدمه في السن وبإحساسه بأنه لم يفي بما وعد به"² ويظهر نقد علي حرب هنا في هاجس العمر بأن حسن حنفي كان قلقا بقصر العمر مما أثر سلبا على طريقة تنفيذ مشروعه مما اختصر مشروعه بسبب هذا القلق، كما نجده أيضا يناقش فكرة تهميش حسن حنفي للعرب وذلك من خلال: "وهكذا يتعامل مع سائر المفكرين والباحثين العرب الذين يتحدث عن مشاريعهم ونتائجهم الفكرية يكتفي بذكر أسمائهم في الهامش، بينما يذكر أسماء المفكرين الأوروبيون في المتن وهذا الاستبعاد للمفكرين العرب يسد عن موقف مماثل للموقف الغربي الذي يتعامل مع الشرقي بوصفه الهامش أو الطرف".³ وهنا علي حرب انتقد حسن حنفي لأنه يهمل المفكرين العرب ويذكرهم في الهامش فقط، بينما المفكرين الغربيين يضعهم في صلب الموضوع مما يعطي أهمية أكبر للغرب رغم أنه يدعو إلى تجديد التراث ومواجهة الفكر الغربي، إلا أنه يهمل المفكرين العرب دون التوسع في أفكارهم، فشبه علي حرب هذا السلوك بما فعله الغرب مع المفكرين العرب، وهذا يشكل نوع من التناقض في فكر حسن الحنفي "وهذا ما فعله مع الجابري مع أنه يعده مفكرا لامعا ويتحدث عن كتابه "نقد العقل العربي" غير مرة في المتن مجريا مقارنة بين مشروعه هو ومشروع المفكر المغربي،

¹ علي حرب، النص والحقيقة، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص 32.

² المرجع نفسه، ص 33-34.

³ المرجع نفسه، ص 33.

وهذا ما يفعله أيضا مع المفكر التونسي "هشام جعيط (1935-2021) فهو يقيم مشروعه في المتن وعلى مساحة صفحة كاملة ولكنه لا يذكر اسمه إلا في الهامش وكذلك مع أدونيس (1930) يستبعده إلى الهامش مع أنه مشروعه "الثابت والمتحول" أقرب إلى مشاريعه "التراث والتجديد"¹، والذي مسلوب من حسن حنفي ربما من أجل تميز مشروعه وكأنه الأشمل والأعمق وأنه ليس تابع لأي مفكر آخر ربما لهذا أراد أن يقلل من حضورهم في المتن حتى لا تتم مقارنة مشروعه مباشرة بمشاريعهم، أو ربما بسبب وجود تنافس بينه وبين المفكرين الآخرين لأنه لا بد من وجود تنافس في الظاهر، إلا أنه يكون موجود من الداخل فهو يسعى إلى رؤية نفسه الأهم وينظر للآخر بنظرة تعالي عن الآخر. وكذلك نجد حسن حنفي في دراسته يعتمد على أكثر من جبهة في دراسته في أن واحد كما كتب في موضوعات عديدة وعصور مختلفة، مما يجعل الباحث في حيرة وهذا ما وقع مع علي حرب حيث: "من هنا يقع المرء في حيرة من أمره إذ أراد أن يكتب عن حسن حنفي إذ يجد نفسه بإزاء كاتب يحارب على أكثر من جهة، ويطل عبر وجهات متعددة ويشغل على عصور متباعدة، ويتناول عوامل ثقافية مختلفة، وينظر في تجارب إنسانية متباينة ولا أخفي أنني كلما كنت أفكر في الكتابة عن حنفي في سياق نقدي لأصحاب المشاريع الفكرية العربية، فأحجم إذ لا أعرف كيف أبدا أو من أين أبدا".² نفهم من هذا أن علي حرب قدم النقد بطريقة غير مباشرة لمشروع حسن حنفي وذلك لما يواجهه من تشتت وحيرة أمام مشروع حسن حنفي الواسع جدا وذلك لتعدد الجبهات والقضايا التي يعالجها، ومما يجعل الباحث أو المفكر عند محاولة قراءة ودراسة أفكاره يقع في حيرة من أمره، ويشعر بالضيق بين المواضيع والأفكار المختلفة التي تناولها حنفي، كما نجده في دراسته لعلم الاستغراب اعتمد في دراسته على المنهج التفكيكي "وبه أذهب مذهب أهل التفكير الذين لا يهتمون بالطروحات والمضامين، بقدر ما يهتمون بتوترات وتداعياته، بزلاته وأعراضه، بمستنداته السرية وبناءه المترسبة، ببدهاته المحتجة ولغوأنته الصامتة، أعلم أن الكثير من أهل البحث والفكر عندنا يرفضون منهج التفكير بحجة أنه لا يتلاءم مع شروطنا الثقافية ولا يلائم أوضاعنا الاجتماعية والحضارية، إذ برأيهم نحن أحوج ما نكون إلى الوحدة والتأليف وإلى التماسك والعقلانية".³ يشير علي حرب إلى اعتماده المنهج التفكيكي وهو منهج تأويلي نقدي يرتبط بالفيلسوف الفرنسي جاك دريدا (1930-2004) في دراسته لعلم الاستغراب إلا أنه من جهة أخرى يتم رفضه من قبل بعض المفكرين العرب اتجاه هذا المنهج لأنه لا يتناسب مع ثقافتهم ومجتمعهم العربي

¹ علي حرب، النص والحقيقة، نقد النص، مرجع سابق، ص 33.

² المرجع نفسه، ص 35.

³ المرجع نفسه، ص 35-36.

كون هذا الأخير يعاني من التشتت والتفكك، فعلي حرب هنا يدافع عن التفكير بوصفه أداة تحليلية للكشف عن الأشياء المخيفة.

لهذا نجد الخصوم قاموا بنقد المنهج التفكيرية فهم ينظرون إليه على أنه لا يلائم مرحلتهم الثقافية، حيث بدأ نقده من النهاية وبالتحديد من الخاتمة "التي يعترف بها حسن حنفي بأوجه القصور التي تتطوي عليها مقدمته في علم الاستغراب، حيث النفي بالكليات دون الجزئيات، وقدم تصنيفا للفلسفة أكثر مما قدم دراسة لتكوين العقل الأوروبي، وعرض المذاهب دون تبيان أثرها في الفكر العربي، وجمع في البيان النظري التطبيق والنظرية".¹ حيث وجه له العديد من الانتقادات ويظهر ذلك من خلال المنهجية من خلال اعترافه بالخلل الذي تحمله مقدمته في علم الاستغراب هذا يعني أن المشروع منذ بدايته من ضعف التأسيس المنهجي وبحيث اكتشفه من خلال استخدام المنهج البنوي، كذلك نجده اهتم بالكليات دون الجزئيات بمعنى أنه تم بناء تصورات كلية عن الذات والعقل والمجتمع، إلا أنه لم يتغلغل إلى تفاصيل الحياة اليومية. كما قدم تصنيفات للفلسفة بدلا من دراسة حقيقية العقل الأوروبي دون تحليله بشكل أعمق لكيفية تشكل هذا الفكر وتطوره حيث اعتبرها علي حرب على أنها تقصير من حيث المنهجية والفلسفة، كذلك أشار علي حرب إلى جامع حسن حنفي بين السلبية النظرية والتطبيقية والمقصود بالسلبية النظرية أن أفكاره ضعيفة من الناحية الفلسفية كونه يتحدث عن مفاهيم كبيرة ألا وهي الذات والعقل والتراث بأسلوب غامض إلا أن أفكاره لم تطبق على الواقع بمعنى مشروعه بقي عالق في الكتب والكلام ولم يصبح له أثر في الحياة اليومية. فيرى علي حرب لابد من الاعتماد على لغة ومفاهيم بسيطة تمكن القارئ من فهمها وتحليلها لا بعبارات معقدة وصعبة. فعلي حرب نقده لحسن حنفي لا يعني أنه يقف ضده أو أنه يسعى إلى نفيه بالعكس فهو يبدي إعجابه به ويظهر هذا في قوله: "وأنا إذا انتقده فإن اعتراف في الوقت نفسه بأنني معجب بمهاراته الكتابية وقدرته الفكرية الفائقة".² رغم الانتقادات التي وجهها علي حرب لحسن حنفي إلا أنه لا ينكر الأفكار التي جاء بها ومهاراته الكتابية. "فقيمة ما يكتبه هذا المفكر لا تكمن في المعارف التي يستعرضها ولا حتى في النتائج التي يستخرجها بقدر ما تكمن في الإمكانيات الفكرية التي يضيفها، أعني في قدرته على التصرف بالمعطيات التي يشتغل عليها واللعب بالأدوات التي يشتغل بها".³ ومنه يمكن القول لا يمكن إنكار أن حسن حنفي يمتلك طاقة فكرية كبيرة، كونه لا يبني مشروعه فقط بالمعارف والنتائج التي وصل لها، فالقيمة

¹ علي حرب، النص والحقيقة، نقد النص، مرجع سابق، ص 38.

² مرجع نفسه، ص 34.

³ مرجع نفسه، ص 34.

الحقيقية لحنفي تكون من خلال كيفية استخدامه للأدوات الفكرية مثل النصوص والتراث والمفاهيم حيث نجد أن حنفي كان يقوم بتجريب وإعادة ترتيب المعاني حتى ولم ينجح تماما في مشروعه إلا أن محاولته الجريئة في التفكير والطرح تستحق الذكر والتقدير.

- طيب تيزيني (1934-2019):

وجه المفكر السوري طيب تيزيني* العديد من الانتقادات في مقدمة الاستغراب للمفكر حسن حنفي وذلك من خلال ما كتبه في مقدمته في علم الاستغراب "فلقد كتبها بهدف رفضه الغير (الغربي) رفض يقوم على القطيعة والمفاصلة معه. فإذا انطلق من أن الهوية الغربية تقليد وميوعة وفقدان للأصالة وضياح الذات... فإن الفكر العربي المعاصر يحتاج إلى مفهوم جذري مطابق للهوية قادر على رأب الصداع بين التغريب والسلفية"¹ وهذا يعني أن حسن حنفي كتب مقدمة في علم الاستغراب من أجل رفض الغرب واعتبر أن الهوية الغربية ليست بأصلية ومنحطة أخلاقيا، فالفكر العربي يحتاج إلى مفهوم يتطابق مع الهوية والعربية، وأن يستفيد مع الفكر الغربي دون أن يفقد هويته الإسلامية. ويظهر نقد تيزيني في هذا من خلال الرفض التام والجذري للهوية بحيث يرى أن مشروع النهضة لا يكون برفض الآخر كليا بل يكون بفهمه نقديا، أي بنقده ثم فهمه ومن خلاله بناء الذات من الداخل وبهذا لا يمكن رفض الآخر ولا يمكن توجيه الادعاء له بأنه يفقد الذات أصالتها. ويرى أن "حنفي رفض موالاة الغير والمفاصلة وذلك من خلال المطالبة بإحداث قطيعة ابستمولوجية بين هويتين ليس متميزتين فحسب، كذلك متناقضتين حديا واحدة إسلامية وأخرى غربية هو ما يحدد حسن حنفي كمخرج أولي من الأزمة العظمى"² فحسن حنفي هنا يرى لابد من إحداث قطيعة معرفية مع الغرب وسيطرته المعرفية، واعتبر أن الهوية الإسلامية والغربية مختلفتين متناقضتين وللخروج من الأزمة لابد من فصلهم عن بعضهم (الشرق، الغرب) ولهذا قام بطرح مشروعه علم الاستغراب كونه هو نقيض كل شيء غربي. ومن جهة أخرى نجد طيب تيزيني يلوم حسن حنفي في "تمييز البنيوي الأبستمولوجي بين الثقافة الغربية (الغربية-المركزية) المهيمنة وبين الثقافة في الغرب بما فيها من احتمالات العقلانية والديمقراطية والإنسانية وبالتميز البنيوي الابستمولوجي بين الثقافة العربية الاجترارية

* طيب تيزيني (1934-2019) مفكر سوري من مواليد مدينة حمص، من أنصار الفكر القومي المركزي يعتمد على الجدلية التاريخية في مشروعه الفلسفي لإعادة قراءة الفكر العربي منذ ما قبل الإسلام حتى الآن، توفي عن عمر يناهز 85 عاما، بعد صراع مع المرض في مدينة حمص.

¹ طيب تيزيني، من الاستشراق العربي إلى الاستغراب الغربي، دار المجلس طباعة والنشر، دمشق، 1996، ص 314.

² المرجع نفسه، ص 315.

وبين الثقافة في التاريخ العربي بما ينطوي عليها من صنع معرفية وإيديولوجية متعددة¹. نفهم من هذا أن الطيب تيزيني وضع فرقا مهما بين طريقتين في نقل التراث العربي الإسلامي، بحيث نجد حسن حنفي يعتمد على أفكار غربية في فهم التراث، أما الطريقة الثانية فهي أن نفهم تراثنا من خلال مفاهيم نابغة من ثقافتنا نحن، أي من داخل الفكر العربي الإسلامي. وهذا ما ذهب إليه طيب تيزين كونها هي الأكثر عدلا وأقرب لفهم التراث بشكل صحيح، كونها لا تفرض عليه أفكار غريبة عنه.

ويمكن تحديد مسارات النقد الموجهة من تيزيني إلى مشروع حسن حنفي، لا تخرج عن النقاط التالية:

1. الاستغراب هو نفي كل للآخر الغربي.
 2. يرى الاستغراب هوية الآخر بوصفه هوية فاقدة للأصالة، وتتسم بضياغ ذات.
 3. الاستغراب هو قطيعة معرفية بين الحضارة الإسلامية والغربية.
 4. الاستغراب حد معرفي سيؤول إما إلى التغريب، أو إلى التقليد.
 5. لا يميز الاستغراب بين واقع الثقافة عند الآخر وبين الهيمنة الثقافية له².
- رغم اهتمام كل من حسن حنفي والطيب تيزيني، وعلي حرب كانوا جميع المهتمين بنقد التراث العربي الإسلامي لكل واحد له طريقته ومنهجه الخاص به، حيث نجد حسن حنفي أراد الاستفادة من التراث وربطه بقضايا العصر حتى ولو استند إلى أفكار غربية وهذا ما دفع بالطيب تيزيني إلى نقده لأنه رفض الاعتماد على الأفكار الغربية وحرص على دراسة تراثنا من داخل ثقافتنا، أما بالنسبة إلى علي حرب فإنه دعا إلى تفكيك التراث وتحريرونا من سيطرته على طريق تفكيرنا.
- وفي النهاية رغم اختلافهم في الطريقة والمنهج والوسيلة إلا أنهم يتفقون على أن التراث بحاجة إلى التجديد وفهم جديد.

¹ طيب تيزيني، من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، مرجع سابق، ص 316.

² محمد سالم سعد الله، نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 60.

ثانيا: الانتقادات الموجهة لعلم الاستغراب:

شهد العالم الحديث سيطرة كبيرة للفكر والثقافة الغربية، مما جعل المجتمعات غير الغربية تنظر إليها وكأنها في موقع التابع أو أقل منها. ومن خلال هذا طرح حسن حنفي مشروعه الفكري "علم الاستغراب" من أجل فهم الغرب من وجهة نظر مختلفة، ومن خارج حضارتها. كما فعل الغرب في الماضي خلال دراسة الاستشراق وظهر بشكل خاص في أوساط المفكرين العرب حيث أرادوا تفكيك صورة الغرب المهيمنة. ورغم أهميته إلا أنه لم يخلو من انتقادات متعددة، والتي سنتطرق إليها.

نجد حسن حنفي من خلال مشروعه هذا حاول إيجاد حلول نافعة للأوضاع التي تعيشها الأمة الإسلامية كونه كان محب لموطنه ومهتم به وهذا ما دفعه إلى معالجة واقعه وتقديم الحلول المناسبة. "فحسب حسن حنفي مفكر إسلامي مجدد جسور، يستوعب تراثنا العربي الإسلامي استيعابا عميقا، كما يستوعب التراث الفلسفي لعصرنا استيعابا عميقا كذلك، وتمتلىء نفسه بهوم وطنه المصري وأمته العربية، وهوم العالم الإسلامي".¹

سعى حسن حنفي من خلال مشروعه هذا لحل المشكلات عصره التي تمر بها الأمة الإسلامية باعتبار أن هدف لم يكن نظريا فقط بل عمل على تقديم حلول مفيدة للمشاكل الثقافية والفكرية والسياسية التي كانت تواجه الأمة العربية بصفة عامة، فكان الدافع الأساسي لحسن حنفي في فكره هو تعلقه بوطنه وحب الشديد به مما جعله يرفع من شأنه ويطور من أمته فهو يؤمن بتجديد الفكر الإسلامي كما امتاز بالجرأة والشجاعة في طرح أفكاره ونقده للتراث، والمقصود بنقده للتراث ليس بغاية الرفض وإنما إعادة فهمه وتفسيره بطريقة حديثة ومفيدة لواقعنا. فهو لم يهتم بتراثه الإسلامي بل اهتم كذلك بفهم الفلسفة الغربية أيضا بحيث تغلغل إلى داخل أفكارها ما جعله يجمع بين الثقافتين (الإسلامية والغربية)، وهنا تم نقد حسن حنفي "بأن فكر حسن حنفي بلغ منتهاه وذروته حين جمع بين الحضارتين العربية والإسلامية والغربية وأنهما يسيران في خطين متوازيين منذ نشأتهما ولغاية انتهائهما، ليس هذا فحسب بل حتى مصادر نشأتهما مختلفة، وهنا قام بتكرير ما كان المستشرقون يقولوه ويريدونه حول تميز الشرق والغرب ولقد كان بالأحرى تدمير هذه الثنائية وليس تكريسها".² رغم حديثه عن الاختلاف الموجود بين الأنا والآخر إلا أنه في الأخير قام بالجمع بينهم "الأنا" و"الآخر" وكأنهم حضارة واحدة ومن هنا يظهر التناقض الموجود في فكر بعدما كان يرفض الجمع بينهم إلا أنه في نهاية المطاف جمع بينهم في عوض ما يقوم بتثبيتها.

¹ محمود أمين العالم، مواقف نقدية من التراث، دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع، د. ط، القاهرة، ص 11.

² جميلة بسو، مفهوم علم الاستغراب عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 379.

ومن بين الانتقادات التي تعرض لها حسن حنفي هو الابتعاد عن الموضوعية والحيادية المطلوبة وعلي حرب من الأوائل الذين انتقدوه بخصوص موضوع الحيادية ويظهر ذلك في قوله: "لقد صرح حنفي في مقدمة كتابه بأنه سيكتب على الاستغراب بروح حيادية موضوعية وبأنه لن يريد أن يكون كنعينه الاستشراق مشروعاً للسيطرة على الآخر ولكن ها هو يتحدث في خاتمة الكتاب عن فلاسفة بعقلية يدير معسكر للاعتقال، أي بعقلية سلطوية فاشية أنها إرادة السيطرة بل الانتقام تفصح صاحبها من حيث لا يشاء".¹ فهنا حنفي يقول أنه سيكون حيادياً وموضوعياً ولن يعيد ما فعله المستشرقون، إلا أنه في الأخير استخدم عبارات عدوانية ضد الغرب بما فيها عقلية سجان وسلطوية فاشية فهذا التناقض جعله يفقد السيطرة في استخدام الحياد والموضوعية التي قال بأنه سيعتمد عليها في كتابته في حين نجده كتب بأسلوب انتقام دون أن يشعر بذلك. وهنا يظهر تأثيره بالواقع حيث استعان بمشاعره في كتابة فكره متأثراً بالعاطفة أكثر من الالتزام بالمنهج العلمي المحايد. ومنه يمكن القول أن حسن حنفي لم يفهم بوعده الذي يتعلق بخصوص الموضوعية والحياد، وكذلك اعتمد على أسلوب مهاجم وعدائي في نقده للغرب. وهذا ما يجعل من مشروعه ضعيف ويجعله يبدو مشروع انتقام لا معرفة، ووافقه في هذا أحمد محمود سلامي بقوله: "وذهب حسن حنفي إلى الانجرار إلى ذم وهجاء حضارة الآخر ومحاولة إلصاق كل ما هو سلبي فيها"²، حيث أحمد محمود سلامي بأننا وقعنا في نفس الخطأ الذي كنا نلوم الغرب عليه فبدل أن نكون عادلين وعقلانيين في نقد الغرب (الآخر) إلا أن بعض المفكرين ومن بينهم حسن حنفي فأصبحوا يحملون الغرب كل الأخطاء والمشكلات التي نواجهها والسلبيات دون أن يعترفون بأخطاء والمشاكل الموجودة في داخلهم.

كما تعرضت دراسته أيضاً لانتقادات تتعلق بالمنهج الذي اتبعه، "بحيث لم نجد المنهج الذي اتبعه في دراسته في الحضارة الغربية، إلا أنه تتم استنتاجه من خلال دراسته، على وهو المنهج الفيمولوجي وهذا يخالف ما وعد به وهو دراسة الفكر الغربي بمنهج من إنتاج هذه الحضارة، ولقد اعتمد على دراسة هوسرل للحضارة الأوروبية وهو التناقض الذي وقع فيه حسن حنفي".³

فحسب حنفي في بداية مشروعه أراد أن يدرس الفكر الغربي باستخدام أدوات ومنهج تابع للحضارة الغربية نفسها لكنه لم يعتمد على ما قاله كونه استخدم منهج الفينومينولوجيا (الظاهرية) مع أنه لم يصرح بهذا لكن تم معرفته من خلال دراسته وتحليله وهذا يتوافق مع ما قاله أحمد محمود سلامي بخصوص

¹ جمعة صباح، الاستغراب وأهدافه عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 122.

² المرجع نفسه، ص 122.

³ جميلة بسو، مفهوم علم الاستغراب عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 381.

المنهج "إن مشروع حنفي كما أعلن قائم على دراسة الآخر من منظور الأنا وبمناهج الأنا وبمفاهيمها، ولكن ما لاحظناه أن حنفي لم يفعل أكثر من دراسة الآخر بمنهجية تاريخية كان قد أنكرها وذلك حين لجأ إلى المنهج التاريخي وأعد منهجا أوروبيا محليا لا يمكن تعميمه على الثقافات الأخرى"¹، يرى أحمد محمود سلامي أن حنفي لم يلزم بالمنهج كما وعد فنجدته استخدم المنهج التاريخي الذي يقوم على تتبع الأحداث والأفكار عبر الزمن. وهو نفسه المنهج الذي رفضه حنفي من قبل. ونفهم من هذا أن محمود سلامي يرى أن حنفي لم ينجح في التحرر من أدوات الغرب كما ادعى، بل اعتمد على بعض المناهج منها المنهج التاريخي في نقده للغرب، وهذا ما أضعف صدقية مشروعه من حيث الالتزام المنهجي.

واتهم (محمود أمين العالم) مشروع حنفي "بمحاولة بناء مركزية حضارية إسلامية في مواجهة المركزية الغربية، والمركزية الجديدة قائمة على استمرارية تأريخية تنطلق من مركز أصول الدين ذي فكر مسبق غير مشروط بعوامل موضوعية، ولذا فإن هذه المركزية، والكلام لأمين العالم لن تنفي أبدا الأزمة الحاصلة بين الأنا والآخر ولا تتجاوزها بل تواجهها بشكل استعلائي حضاري معكوس، وهذا الفعل هو عين الأزمة ومحور تكريسها وبقائها ودوامها".²

فنجده يتهم حسن حنفي ببناء حضارة متمركزة حول الإسلام كرد فعل على التمرکز الغربي اعتمادا على فكر ديني تقليدي ومشروط مسبق وهذا ما يجعل مشروعه غير قادر على تجاوز الأزمة الحضارية مع الآخر، بل يكرسها ويعيد إنتاجها وهذا ما جعله يعيد استمرار للصراع لا إحلاله.

فحسن حنفي لم يلتزم بما قاله في دراسة الغرب من منظور الأنا فهو من ناحية نجده يفرق بين علم الاستغراب من حيث كونه مادة محلية غير مستمدة من نقد الغرب لذاته ومن جهة أخرى نجده يقول بصريح العبارة "ويعني ربط الحضارة الأوروبية ببيئتها تطبيق مذهب وضعي أو منهج اجتماعي بل تقريرا لواقع من كتابات المفكرين أنفسهم واعترافاتهم".³ فهنا حسب حنفي لم يلتزم التزام تام بمنهجه النظري وذلك لما وضعه من أهداف في مشروعه علم الاستغراب خاصة من خلال توجيه الغرب إلى موضوع دراسة بشكل حيادي أو علمي، بمعنى آخر دراسة الغرب كما درسنا هو.

¹ جمعة صباح، الاستغراب وأهدافه عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 113.

² محمد سالم سعد الله، نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 62.

³ جويدية جاري، قراءة تحليلية في مشروع مقدمة في علم الاستغراب، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 03، العدد 03، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 02، 2015، ص 123.

رغم الانتقادات العديدة التي واجهها حسن حنفي من خلال مشروعه من حيث المضمون أو المنهج أو التطبيق، إلا أننا لا يمكن تجاهل أن مشروعه يمثل واحد من أهم المحاولات الفكرية التي ساهمت في قيام العالم العربي في تكوين وبناء الذات الحضارية، كما أنه حاول الاهتمام بواقع أمته والنهوض بها من حالة الجمود والتخلف إلى التجديد.

"أما فيما يخص المنهج لابد من الاعتراف به وتبينه ومن خلال دراسته يصعب تصنيفه فعندما صدر له كتاب "من النقل إلى الإبداع" أعجب العلمانيون وأغضب السلفيين وعند إصدار كتاب "في مقدمة علم الاستغراب" أفرح السلفيين وأغضب العلمانيين، وهذا دليل على صعوبة تصنيفه كون أن مواقفه جريئة وغير مبنية على الحمية والتطرف وهو أمر يستحق التقدير".¹ ومن هنا نتبين لنا صعوبة حسن حنفي وأنه ليس سهلاً أو تقليدياً، بل لابد من دراسته وفهمه بعمق لأنهم لم يتمكنوا من تصنيفه كونه يحمل العديد من الأفكار والاختلافات، وهذا يدل على شجاعته الفكرية مما جعلت منه ترضي فئة وتعذب فئة وهذا دليل على عمق مشروعه الفكري.

ومنه يمكن القول أن فيه محاولة جدية من أجل الوصول إلى حلول حقيقية للمشاكل التي نواجهها، فهو قام بطرح العديد من الأفكار الجديدة والمختلفة والتي لابد من تقديرها، وفي نفس الوقت إن مشروعه لم يصل بعد إلى المستوى المطلوب كونه يحتوي على العديد من الأفكار والإشكالات التي لابد من إعادة ضبطها، ولكي نجعل من الاستغراب بديل للاستشراق، لابد من صياغته بأفكار منظمة ومترابطة، وهذه الأفكار تؤثر على الناس والمجتمع، وهذا ما يتطلب أن يلتزم به كل من حسن حنفي وأتباعه والمفكرين الذين يؤيدونه في نفس النظرة بهدف الدفاع عنه وتعزيزه، غير أن هذا المشروع لا ينبغي أن يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الاستشراق، أي تجنب الآخر ومحاولة فرض سيطرته عليه، بل وجب علينا من البداية تحديد دراستنا وما الهدف منها.

رغم هذه الانتقادات التي وقع فيها إلا أن مشروع حسن حنفي ذو أهمية كبيرة ويستحق المتابعة والاهتمام.

¹ جميلة بسو، مفهوم الاستغراب عند حسن حنفي، مرجع سابق، ص 381.

خلاصة:

سعى حسن حنفي من خلال مشروع "الاستغراب" إلى إعادة التوازن في العلاقة الفكرية بين الشرق والغرب، لكن هذه الفكرة واجهت مواقف متباينة؛ حيث رحّب بها البعض ورفضها آخرون، مما أدى إلى نقاش واسع وانتقادات حول جدوى المشروع ومضمونه. إلا أننا لا يمكن إنكار الأفكار التي جاء بها وعمل على دراستها ومحاولته التي قام بها من أجل فك التبعية الغربية والدعوة إلى التجديد والنهوض بالأمة العربية الإسلامية.

خاتمة

في ختام الدراسات حول مفهوم الاستغراب عند حسن حنفي، نجد حسن حنفي عندما طرح مشروعه الاستغراب ليس بكونه مفهوما مضادا للاستشراق فحسب، وإنما كونه مشروعا علميا وفكريا جاء بهدف فك كيف تطور هذا الفكر عبر العصور، وإعادة تكوين العلاقة بين الشرق والغرب على أساس التوازن والندية. وأن موقف حسن حنفي من خلال دراسته لمشروع الاستغراب ليس موقفا عدائيا من الغرب بل هو موقف نقد الذات والآخر في آن واحد، لأن حنفي لا يرفض الآخر بل ينتقده بموضوعية وباستخدام مناهج علمية، فهو من جهة يسعى إلى تحليل وتفكيك وفهم الآخر وكيف فرض نفسه على العالم بكونه هو الحقيقة والتقدم، ومن جهة أخرى يحاول إعادة الاعتبار للآخر وذلك وفق بناء معرفة فكرية وحضارية تقوم على تراثها ومقوماتها الذاتية دون الوقوع في التقليد أو الانغلاق، والمقصود بالانغلاق هنا بمعنى الانفتاح على الآخر بدرجة الوصول إلى التقليد الأعمى وفقدان هويته.

فهذا ما سعى إليه حسن حنفي في مشروعه، هو سعى إلى محاولة قيام معرفة بديلة بمعنى لا نعيد إنتاج تبعية معرفية، بمعنى تقليد الآخر، بل يجب أن تنطلق من نقده كخطوة أولى فهو نقد الذات، فلا بد من البدء بمراجعة ذاته، أي تراثه، ثقافته، معتقداته وتفكيره، وهذا ليس بهدف الرفض أو الهدم وإنما من أجل الفهم العميق والتجديد لتحرير العقل، فالاستغراب هو دعوة للخروج من الاغتراب المعرفي والتاريخي الذي تم إنتاجه وفق تأثرنا بالغرب. وذلك بهدف تأسيس علاقة واعية ونقدية مع العالم.

ومنه يمكن القول أن الاستغراب عند حسن حنفي لا يندرج فقط ضمن مشروع النهضة، وإنما هو جزء من معركة الوعي التي تخوضها الأمة من أجل استعادة ذاتها وتحريرها من التبعية والتقييد، فهو ليس مفهوما نظريا فقط بل هو نشاط يعتمد على العقل والتحليل المنطقي والتفكير النقدي. فالاستغراب كما طوره حنفي، يعد مشروع منفتح على العديد من الإمكانات من أجل ترجمة هذا المشروع من مستوى التنظير إلى التطبيق، وذلك بقيام مناهج أكاديمية لدراسة الغرب من منظورها القائم على الندية لا التبعية.

ومن خلال هذا يمكن القول أن الاستغراب ليس نهاية لفكرة الاستشراق بل بداية لعصر جديد من التفكير الذاتي الواعي، الذي يعيد تشكيل العلاقة بيننا وبين الآخر على أسس تكون أكثر توازنا وأهدافا وعمقا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: قائمة المصادر:

1. حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1990.
2. حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر (إشكالات)، مصر، ط1، 2004.
3. حسن حنفي وآخرون، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، أعمال الندوة الخامسة عشر التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، 2005.
4. القرآن الكريم.

ثانياً: قائمة المراجع:

1. أحمد درويش: الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ط1، دار الغريب، القاهرة، 1994.
2. أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر قراءة نقدية في فكر حسن حنفي، مكتبة ديولي السعيد، دار عبد ربه، 1997.
3. إدوارد سعيد، الاستشراق، ط1، مؤسسة الأبحاث العبرية، لبنان، 1981.
4. أسعد صباح الشنان، علم الكلام وراهنية التجديد، عبد الجبار الرفاعي نموذجاً، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2024.
5. أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عبودات، ط2، بيروت لبنان، 2001.
6. أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1978.
7. التجاني مياطة، التراث الأثري بين أسس البحث العلمي وسبل الحفاظ عليه، جامعة الشهيد حمي لخضر، الوادي.
8. جلال الدين سعيد. معجم المصطلحات والسواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس.
9. الجوهري أبو النصر: الصحاح تابع اللغة صحاح العربية، ج1، دار العلم للملايين، 1987.
10. خديجة السيد عبد السميح حسونة، كيف نقرأ التراث، محاضرة الأولى، ماهية التراث.
11. د. حسن بن محمد بن علي البارقي، الاستغراب "البعد الديني في الاستغراب المعاصر"، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
12. رفعت العوض، ماذا يعني الاستغراب؟، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة، 2009.
13. ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.

14. سيد صلاح سعد الدين: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 1998.
15. السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2010.
16. الشيخ أحمد، من نقد الاستشراق لنقد الاستغراب حوار الاستشراق، ط1، المركز العربي للدراسات الغربية، د. ب، 1999.
17. صالح حمد حسن الأشرف: الاستشراق مفهومه وآثاره، جامعة محمد سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة، 1473هـ، 1438.
18. طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والتسيير، بيروت، لبنان، 2011.
19. طيب تيزيني، من الاستشراق العربي إلى الاستغراب الغربي، دار المجلس طباعة والنشر، دمشق، 1996.
20. عبد الرزاق الخرشوم: الغربة في الشعر الجاهلي، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق سوريا، 1982.
21. عبد العزيز بن أحمد البداح: حركة التغريب في السعودية، ط1، سلسلة كتب مركز الدراسات الإنسانية، السعودية، 2010.
22. عبد الله الشارف: الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر، منشورات نادي الكتاب لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2003.
23. عبد الله محمد الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997.
24. عبد النبي إصطيف، الاستغراب معرفة الآخر ومعرفة الذات، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2014.
25. علي إبراهيم النملة: الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب، كتاب المجلة العربية، المملكة العربية السعودية.
26. علي حرب، النص والحقيقة، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005.
27. علي رحومة سحنون، إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر -دراسة تحليلية مقارنة، بين محمد عابد الجابري وحسن حنفي أنموذجاً-، شركة الجلال للطباعة، الاسكندرية، 2007.
28. عمر عبد العالي علام، الأنا والآخر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

29. غيضان السيد علي، سؤال الاختلاف الفلسفي رهانات الإبداع في الفكر العربي المعاصر، نيويورك للتوزيع والنشر، 2018.
30. فتح حسب ملكاوي، نصوص من التراث التربوي الإسلامي، ط1، مركز معرفة الإنسان، عمان، الأردن، 2018.
31. فتحي حسن ملكاوي، التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، عمان، 2025.
32. محمد رياض وثار، توظيف التراث في الرؤية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العربي، د ط، دمشق، 2002.
33. محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، لبنان، 1990.
34. محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط6، 1993.
35. محمود أمين العالم، مواقف نقدية من التراث، دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع، د. ط، القاهرة.
36. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1997.
37. مخطار ديدوش مراد، التراث والتجديد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 02، أبو القاسم سعد الله.
38. مصطفى النشار، فلسفة حسن حنفي، مقاربة نقدية، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.

ثالثاً: المعاجم والموسوعات:

أ. المعاجم:

1. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ج1، القاهرة، 2004.
2. إبراهيم منظور: المعجم الفلسفي، القاهرة، 1979.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1919.
4. جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، دب، المجلد الأول، 1992.
5. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1982.

6. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت، مادة ورثة.

7. مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحدين، القاهرة، 2008.

8. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008.

9. محمد مرتضى بن محمد الحسني الزبيدي، تاج العروس جواهر القاموس، بيروت، ط1، 2007.

10. يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي.

11. جلال الدين سعيد. معجم المصطلحات والسواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس.

12. مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2009.

II. الموسوعات:

1. أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عبودات، ط2، بيروت لبنان، 2001.

رابعاً: المجالات:

1. نظرية تقويم التراث عند طه عبد الرحمن، مجلة الإحياء، المجلد 22، العدد 30، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، جانفي 2022.

2. الاستغراب وأهدافه عند حسن حنفي، مجلة المعيار، مجلد 26، العدد 04.

3. مفهوم الاستغراب عند حسن حنفي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2022.

4. قراءة تحليلية في مشروع مقدمة في علم الاستغراب، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 03، العدد 03، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 02، 2015.

5. التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي، مشروعه، المجلة الحضاري الثقافة الجزائرية، 2011.

6. الاستغراب في مواجهة التغريب، العدد الأول، 1436هـ/2015م، 20 سبتمبر 2015.

7. الحداثة في فكر محمد أركون، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 12، العدد 03، جامعة عبد الرحمن ميرا بجاية، الجزائر، 2024.

8. منهجية محمد عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مجلة الإنسانية والحضارية، المجلد 03، العدد 02، جامعة عمار ثلجي بالأغواط، الجزائر، 2021.

9. محمد عابد الجابري والتراث القراءة والمواقف، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 08، عدد 01، جامعة معسكر، جوان 2017.
10. الاستشراق والاستغراب وحتمية تأسيس علم الاستغراب في العالم العربي، مجلة المزهر أبحاث في اللغة والأدب، العدد 05، 2021.
11. ثقافة الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 36، العدد 05، 2004.
12. خاتمة كتاب الاستغراب، النهج في فهمنا الغرب. محمد حيدر، لماذا الاستغراب؟، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية (مكتب بيروت)، العدد 01، 1436هـ/2015م.
13. الاستغراب: مفهومه، خلفياته، أهدافه وأهميته، مجلة المنهل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد 09، العدد 02، 2023.
14. منهجية عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مجلد مفاهيم الدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، جامع زيان عاشور الجلفة، العدد 07، جامعة الجزائر 02، 2020.
15. أدوار المستشرقين في تشويه معالم السنة النبوية، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 03، عدد 10، جامعة تكريت، بغداد.
16. تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط1، مجلة البيان، الرياض، 2004.
17. نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة الفتوحات، العدد الأول، كلية الآداب، جامعة الموصل العراق، جانفي 2015.
18. الاستغراب، مجلة الدراسات العربية.
19. نحو منهجية مقترحة لعلم الاستغراب، علم الاستغراب، د. مجلد، العدد الأول، مجلة علمية محكمة تصدر سنويا عن مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، ربيع 1438هـ/2017م، قطر.

خامسا: المواقع الإلكترونية:

1. أم العلا الحسني، الاستغراب... أنواعه ومشكلاته والدوافع لدراسته <https://al-sabeel.net>.
2. سهر محمود عبد السلام محمد، موقف طه عبد الرحمن النقدي من التراث العربي فلاسفة الإسلام والمتصوفة "المنهج، الخطاب، الرؤية"، مجلة علمية محكمة، المجلد 01، العدد 12، وجدة النشر العلمي، كلية البنات للأدب والعلوم والتربية، جامعة عين الشمس، ديسمبر 2021، <https://bunuth.journals,ekb.eg>.

3. مازن صلاح مطبقاتي، من آفاق الكلمة متى ينشأ علم الاستغراب، متاح على الرابط:
[Saaaid.org.https://saaid.org](https://saaid.org). بتاريخ 2025/05/04، على الساعة 11:27.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
	الشكر والتقدير
	الإهداء
أ	مقدمة
	مدخل مفاهيمي
05	أولاً: مفهوم الاستشراق والاستغراب
10	ثانياً: مفهوم التغريب والاعتراب
13	ثالثاً: العلاقة بين الاستغراب والاستشراق
	الفصل الأول: تأصيل الاستغراب وطبيعته عند حسن حنفي وأهدافه
17	تمهيد
18	أولاً: نشأته
22	ثانياً: الأهمية من دراسة علم الاستغراب
24	ثالثاً: طبيعة الاستغراب عند حسن حنفي
29	رابعاً: أهدافه
35	خلاصة
	الفصل الثاني: الرؤية التجديدية للتراث عند حسن حنفي ودور مشروع الاستغراب في النهوض
37	تمهيد
38	أولاً: الرؤية التجديدية للتراث
56	ثانياً: صراع الأنا والآخر في بناء مشروع الاستغراب
59	ثالثاً: قراءة حسن حنفي للوعي الغربي من منظور الاستغراب
61	رابعاً: دراسة الغرب كوسيلة لإعادة تشكيل الوعي العربي
69	خلاصة
	الفصل الثالث: قراءة تقييمية نقدية لمشروع الاستغراب
71	تمهيد
72	أولاً: تضارب وجهات النظر بين مؤيدين ومفنديين
82	ثانياً: الانتقادات الموجهة لعلم الاستغراب
86	خلاصة
88	خاتمة

فهرس المحتويات

90	قائمة المصادر والمراجع
96	الملخص
	الفهرس

ملخص الدراسة

الملخص:

تناول حسن حنفي مشروعه علم الاستغراب كجزء من مشروعه الفكري "التراث والتجديد". يهدف من خلاله إلى تطوير الوعي العربي والإسلامي، وتحريره من التبعية الفكرية للغرب، من خلال دراسة الفكر الغربي من منظور عربي/إسلامي، تمامًا كما درس المستشرقون الشرق.

كونه علم مستقل يهدف إلى:

- تحليل بنية الوعي الأوروبي وتفكيك أسطورة تفوقه.

- تحقيق التوازن الحضاري بين الشرق والغرب.

- إعادة بناء الذات الحضارية العربية والإسلامية.

ومن خلال ما تم دراسته تكمن أهمية الاستغراب في مواجهة المركزية الأوروبية، وتعزيز التعددية والتعايش، من خلال تجديد التراث وتحديثه، وربطه بالواقع المعاصر.

Hassan Hanafi approached his project of Occidentalism as part of his broader intellectual endeavor, Heritage and Renewal. Through this project, he aims to develop Arab-Islamic consciousness and liberate it from intellectual dependency on the West, by studying Western thought from an Arab-Islamic perspective—just as Orientalists studied the East.

As an independent discipline, Occidentalism seeks to:

- Analyze the structure of European consciousness and dismantle the myth of its superiority.
- Achieve civilizational balance between East and West.
- Reconstruct the Arab-Islamic civilizational identity.

Based on the research conducted, the significance of Occidentalism lies in its role in confronting Eurocentrism, and in promoting pluralism and coexistence through renewing and modernizing heritage and connecting it to contemporary realities.